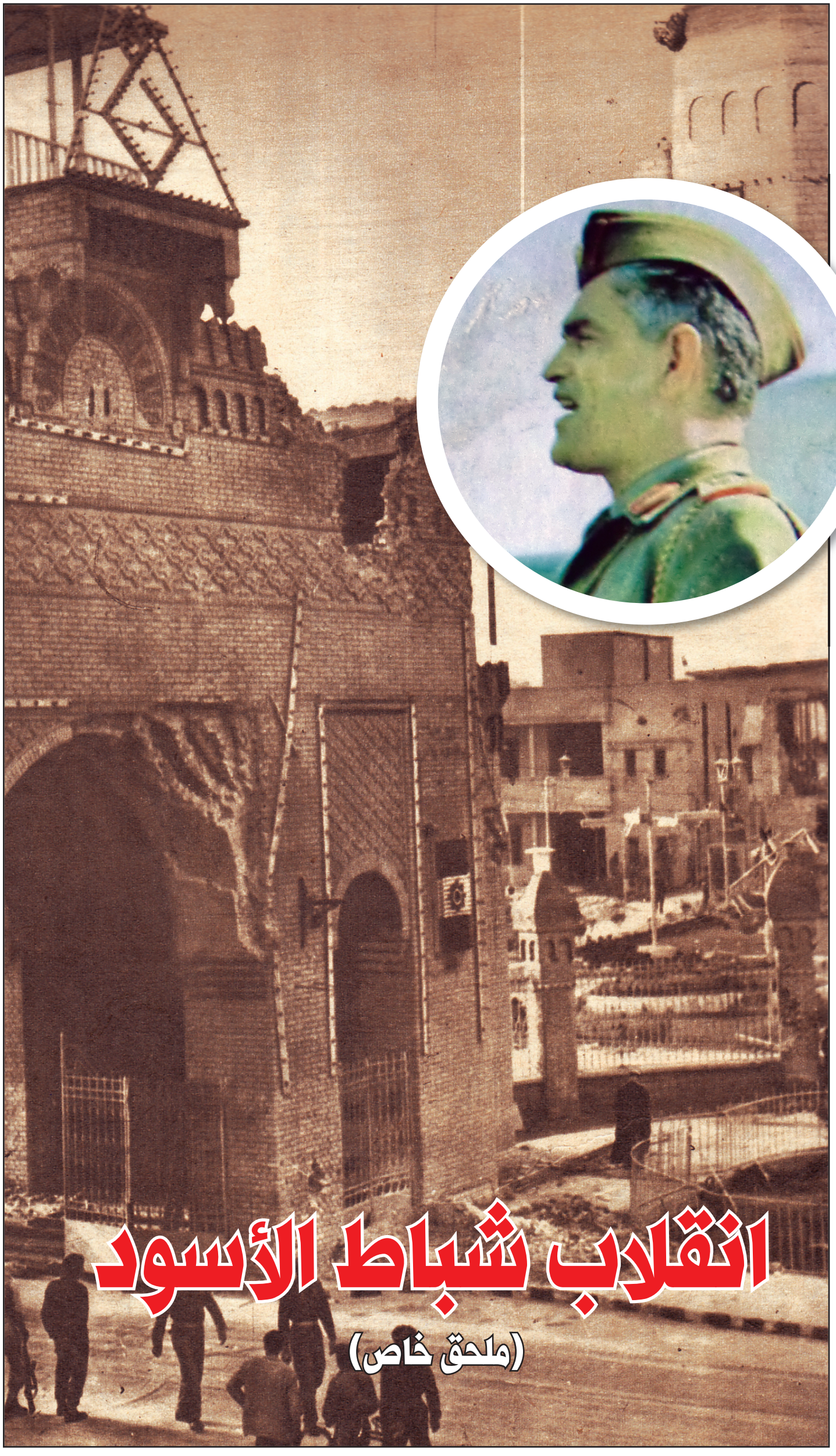

انقلاب شباط الأسود

(ملحق خاص)

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

ملحق اسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

العدد (2386) السنة التاسعة

الإثنين (6) شباط 2012

2

هكذا قتل المجرمون جلال الاوقاتي

مـــن جـــرائـــم 8 شـبـاط

هكذا قتل المجرمون جلال الاوقاتي

د. عقيل الناصري

اجمع رواة وقائع اليوم الاخير من حياة الزعيم قاسم ومهندسو ومنفذو الانقلاب، ان ساعة الصفر بدأت بقيام العديد من لجان الانذار الحزبية باغتيال مجموعة من اقرب المساعدين للزعيم قاسم والمنتمين الى تيار اليسار وبالاخص جلال الاوقاتي قائد القوة الجوية وطه الشيخ احمد وفاضل عباس المهداوي وسعيد مطر ووصفي طاهر وعبد الكريم الجدة وماجد محمد امين وغيرهم . إذ كلفت (على سبيل المثال زمرة بقيادة صلاح سالم مهمتها دار عبد الكريم الجدة، وزمرة اخرى مهمتها مهاجمة دار سعيد مطر في الفحامة (الصحيح في المأمون – الناصري)، وكان طارق عزيز دليل المجموعة التي تضم صلاح مكي وحسن غافل وحسن علي ومهدي نجم الى دار العقيد فاضل عباس المهداوي).

كما كانت هناك زمرة اخرى مهمتها اغتيال زعيم الجو الركن جلال الاوقاتي / قائد القوى الجوية.. وقد تم لها ذلك، إذ كانت قد رصدت تحركاته ونظام عمله اليومي، منذ فترة طويلة نسبياً، ساعدهما في ذلك مدير الادارة في قيادة القوة الجوية صالح مهدي عماش وبعض الضباط البعثيين وانصارهم في مقر نفس القيادة، وكذلك التنظيم الحزبي المدني في كرادة مريم. ويعتبر الاوقاتي من اشد انصار النظام الجمهوري ومؤيدا للزعيم قاسم، ويتوجس الانقلابيون وخبراء الانقلابات العسكرية الامريكان من منصبه وامكانياته العسكرية في احباط محاولتهم الانقلابية في حالة نجاته من الاغتيال، خاصة ، كما مر معنا، ان هؤلاء الخبراء كانوا قد اعتمدوا الطيران كعنصر اساسي في انقلابهم، ولهذا ليس اعتباطا ان تكون ساعة الصفر هي اغتيال الوقاتي.

تمت عملية الاغتيال، كما يصفها رئيس الزمرة المنفذة المدعو غسان عبد القادر، في مقابلة اجريت معه في ١٩٨٥/١/٢٤، بالشكل التالي:

(كلفت مجموعتي باعتقال جلال الاوقاتي، قائد القوة الجوية ومن قيادي الحزب الشيوعي، واذا مانع بذلك فيتم قتله، وفي ساعة الصفر قامت المجموعة المكلفة بذلك بعمل دورية حول داره الكائنة في كرادة مريم، وبعد خروجه من داره وفي احد الشوارع الفرعية القريبة من داره حوصر من قبل المجموعة، مما ادى به الأمر الى ترك سيارته والهرب، فقامت المجموعة المنفذة بفتح النار عليه وقتلته في الحال، وبهذا استطاع الحزب ان يتخلص من احد اقطاب السلطة المهمين والذي لو قدر له البقاء لكان له تأثير كبير في تغيير موازين القوى لصالح سلطة عبد الكريم قاسم) وبعد ذلك اتصلت المجموعة المنفذة بقيادتها واخبرتهم باتمام التنفيذ وكانت المجموعة تتالف منه ومن (ماهر الجعفري، عدنان داود القيسي، اكرم اسود، ومجيد رجب الحمداني). وكان دليل المجموعة حسب افادة عائلة الاوقاتي، محمد ثامر، اللاعب في المنتخب العراقي لكرة القدم وشقيق مدير الأمن اللاحق انور ثامر حسب استطلاعات الدكتور علي كريم سعيد. وقد تمت العملية بعد الثامنة والنصف وقبيل التاسعة صباحا.

يصف حنا بطاطو عملية الاغتيال بالكيفية التالي:

(كان الاوقاتي قد قاد سيارته يرافقه ابنه الصغير الى محل لبيع الحلويات قرب منزله، وما ان نزل من السيارة حتى توقفت مركبة آلية اخرج الركاب مسدساتهم واطلقوا النار عليه، واصيب الاوقاتي في كتفه وحاول ان يهرب ليختبئ، ولكنه اصيب ثانية في الرأس وسقط على الرصيف واسرع المهاجمون بالهرب واختفوا).

كانت عملية الاغتيال بمثابة اشارة الشروع للقوة الجوية في الحبانية ولقوى الانقلاب لكي تستولي على المرسلات في ابي غريب وتذيع البيان الأول، الذي كان بدوره إشارة البدء لتحرك كل المساهمين في العملية الانقلابية كل حسب المهام المناطة به والموقع المرسوم له.

ومنذ تلك اللحظة بدأ (مهرجان الدم العراقي) الذي خطط له في الاروقة الغربية، ونفذته ايادٍ عراقية، التي كانت (في تواطؤ واضح مع حكومة الكولونيل عبد الناصر المصرية وال سي آي أي CIA) وباركته اغلب الدول العربية وخاصة مصر الناصرية. وامسى الدم يسال لمجرد الشبهة او الهوية، بل حتى القتل من اجل القتل. لقد تحول العنف المادي الى نهج وممارسة يومية ذات طابع فاشي لدى سلطة القوى الانقلابية، إذ (كان التعذيب يجري باكثر اشكاله بدائية وثأرية، وفي بعض الاحيانلم يكن بقصد انتزاع مزيد من المعلومات بقدر ما كان تكرارا ثأريا)، كما عبر عن ذلك أحد مهندسي ومنفذي الانقلاب.

وقد شملت هذه التصفيات الدموية، بعد ذلك وطالت حتى القوى التي سبق وان تحالفت مع قيادة الانقلاب ومن ثم اخذت تضفي الحسابات بعها، مادياً او معنوياً. ففي البدء انصب العداء على قوى الحركة الكردية التي تحالفت قيادتها معهم ثم اعقب ذلك مع بقية القوى القومية، غير البعثية، وخاصة حركة القوميين العرب، بعد اكتشاف حركتهم الانقلابية في ١٩٦٣/٥/٢٥ لينتهي مسلسل العنف بنتيجته المنطقية بصراع اجنحة البعث واخيرا على البعث ذاته، مما افقدهم السلطة.

وبهذا الانقلاب ساهمت احزاب التيار القومي عامة، والبعث العراقي بخاصة، وحلفاؤهم الاخرين، بدرجة كبيرة في اضاعة اهم فرصة تاريخية لتطوير عراق القرن العشرين. وتعمقت بهذا الفقدان وازدادت وتأثر التعسف والاضطهاد وثقافة العنف والانقلابات التي هددت مكونات الاستقرار السياسي في العراق لعقود طويلة، وبخاصة بعد صعود، جناح ميشيل عفلق في حزب البعث ثانية للسلطة عام ١٩٦٨. بحيث طال الاضطهاد الاعم الاغلب لمكونات المجتمع العراقي. وهذا ما يمكن استقراؤهم من خلال تتبع جملة الكوارث التي حلت بالبلد نتيجة حروبه الداخلية والخارجية. ويرصد ايضا مما حل بالقيادات التي تعاقبت على ادارة دقة القيادة، سواءً الحزبية او الرسمية، المدنية او العسكرية، حتى تحول الحزب من مرحلة التشارك الحزبي العام، الى مرحلة نمو السيطرة القرابية، ومن ثم الى مرحلة نمو السيطرة العائلية (عائلة الرئيس مباشرة). بحيث اصبح من حقنا القول بعد الاستقراء التاريخي: ان عائلة الرئيس تحكم بواسطة حزب البعث، اكثر من كون حزب البعث يحكم بواسطة عائلة الرئيس.

كان اختيار يوم الجمعة الثامن من شباط، من قبل العقول المخططة الاجنبية، ضرورة للانقلاب اقتضتها معرفتهم السابقة بالاحالة على التقاعد للعشرات من الضباط الموالين لهم، ومما زادها اهمية هو اعتقال بعض القيادات العسكرية والحزبية العليا. يضاف الى ذلك لكونه يوم العطلة الاسبوعية التي يكون فيها كثير من المدافعين، وبخاصة من المراتب والجنود، خارج الخدمة الفعلية، والذين اغلبهم ينتمون معنويا وروحياً الى التيار المؤيد للزعيم قاسم. كما اعتاد كثير من العسكريين السهر في الليالي الرمضانية ليوم الجمع حيث يكون النهوض فيها متأخرا. وعليه ينخفض قوام القوة العسكرية في كل الوحدات. فمثلا في وزارة الدفاع ينخفض عدد العسكريين المتواجدين فيها في ايام الجمع من ٣٠٠٠ عسكري الى ١٢٠٠ فقط، اي ان ٦٠٪ منهم لا يتواجدون في وحداتهم العسكرية.

وهذا الاقتراح بالتحرك في يوم الجمعة وفي الصباح، تم من قبل عقول اجنبية استكشفت سبل نجاح الانقلاب من دراستها الدقيقة للمحاولات الانقلابية السابقة والتي رأت ان احد اسباب فشلها يعود لكونها كانت تتم ليلا، حيث الاجهزة الامنية تكون اكثر يقظة من جهة. ومن جهة ثانية راوا صعوبة التحرك الليلي للضباط المتقاعدين والقوى العسكرية المؤيدة وتجمعها لتنفيذ المهمات المناطة بها في الاستيلاء على محطة الاذاعة والوحدات العسكرية التي سينطلق الانقلاب منها. اذ كانت تقتضي خطة الانقلاب على تجمع مجموعة من العسكريين، بعضهم كان متقاعدا، ومن وحداث مختلفة في مركز كتيبة الدبابات الرابعة. هذا لفعل سيثير اهتمام القوى الامنية وكذلك المناهضة للانقلاب وبصة بالنسبة للضباط من الرتب العليا. ومن جهة ثالثة عدم قدرة لجان الانذار الحزبية في نقل وتوزيع الاسلحة على افرادها وتنفيذ مهمات الاغتيال والاعتقال للعناصر المناهضة لهم والسيطرة على معابر الجسور وتقاطع الطرق المهمة. واخيرا من المعروف والشائع ان الزعيم قاسم كان يعمل الى ساعات متأخرة من الليل، ومن ثم يقوم بجولة معتادة في انحاء العاصمة وكان يهجع الى النوم في ساعات الصباح الاولى.

وعلى ضوء ذلك، والحث المتزايد لخبراء الانقلابات، م في السابع من شباط اتخاذ القرار النهائي وحسم التردد في امكانية التأجيل لصالح المضي في الخطة الانقلابية، لأن عملية التاجيل ربما تؤدي الى كشف ابعاد المؤامرة من خلال الاعترافات المحتملة من العناصر القيادية المعتقلة، وبالتالي ستتساوى العاقبة في حالة الفشل. مما ادى بهم الى السير في عملية التنفيذ، خاصة ان هذه الفرصة ربما ستكون الوحيدة لديهم في الزمن المنظور انذاك، بد ان رسمت عملية تقليم مخالبهم العسكرية التي كان يفترض ان تتم في شهر شباط، مما يفسح المجال امام حركة القوميين العرب للقيام بانقلابهم المخطط له وهذا ما لايريدونه لهم كحزب ولا القوى الخارجية المساندة لهم. كما يجب ان لا ننسى روح المغامرة ودورها لد بعض القيادات في الحث على الاسراع في التنفيذ.

ومن المحتمل جدا ان وراء التنفيذ كان يقف عامل نفسي وقناعة ذاتية لدى الانقلابيين. مفاده: لنقم بالعمل، فان نجحنا فيه فهذا جميل، واذا فشلنا فان روحية الزعيم قاسم الكراهة للعنف، واحترامه الكبير للنفس البشرية، سوف لا يعاقبنا باعدام الحياة، بل سيسجننا لفترة زمنية معينة ومن ثم يعفو عنا بعدها، كما عفى مرارا عن كثير من المتورطين في المحاولات الانقلابية السابقة وممن حاولوا اغتياله، ومن ثم تكرر المحاولة مجدداً.

وعلى خلفية هذه الابعاد، صدرت في يوم ٧ شباط التعليمات الحزبية النهائية لتحرك الانقلاب والتي تتخلص في :

١. تواجد المكلفين بالتنفيذ من مدنيين وعسكريين في الساعة السابعة صباحا في منطقتين هما: ساحة النسور في الكرخ بالقرب من جسر الخر (ساحة عبد الكريم قاسم سابقا)، حيث ملتقى طريق بغداد – فلوجة وبغداد – المحمودية، وفي ساحة عنتر في الاعظمية قرب النادي الاولمبي.

٢. يبدأ الاستيلاء على محطة الارسال في ابو غريب، ويقطع الاتصال بمحطة البث في الصالحية وبمحطة تقوية البث (محطة الموجات القصيرة) في سلمان باك. ويعتبر هذا لعمل اخطر حلقة في الانقلاب باعتباره وسيلة التبليغ الرئيسية في ذلك الصباح وبمثابة بدء ساعة الصفر لكل القوى الانقلابية بالتحرك العملي:

٣. يبدأ البث الاذاعي باذاعة البيان الاول، الذي هو إشارة للطيارين لبدء الحركة والهجوم بطائراتهم الحربية، القادمة من الحبانية، على وزارة الدفاع والقاعدة الجوية في معسكر الرشيد جنوب بغداد.

٤. يتحرك الضباط المؤيدون للانقلاب، والموالون من مختلف فصائل التيار القومي، للسيطرة على وحداتهم بعد سماع البيان الاول.

٥. يتواجد الضباط المتقاعدون وبملابسهم العسكرية في منطقة ابو غريب ويكونون مهيئين للتحرك بعد الاستيلاء على وحدات الدروع ولتولي قيادة الدبابات والاستيلاء على الوحدات العسكرية القريبة.

٦. تبدا الدبابات والمشاة بالتحرك من ابو غريب نحو اهدافها المرسومة.

وقد اوصى خبراء الانقلابات العسكرية – وهذا مستنبط من دراسة الامكانيات المتاحة – الانقلابيين بضرورة لصق صور عبد الكريم قاسم على الاليات والدبابات اثناء توجهها الى اهدافها بغية خداع الجماهير المناهضة لهم.

عن كتاب (عبد الكريم قاسم في يومه الاخير

جلال الاوقاتي

عبد الكريم قاسم عراقيا اصيلا

عبد اللطيف الشواف
سياسي ووزير سابق

لقد رأيته في مقره بوزارة الدفاع في آخر ليلتين قبل ٨ شباط ١٩٦٣، حيث كنت في ليلة ١٩٦٣/٢/٦ مدعواً مع الاستاذ محمد حديد في موعد مع الزعيم عبد الكريم قاسم مساء ذلك اليوم (الساعة السادسة فيما اظنها)..

لما ان تاخر عبد الكريم في الحضور الى وزارة الدفاع على الموعد بسبب زيارة تفقدية له في مدينة الثورة على عادته – تذمر الاستاذ محمد حديد واراد الاعتذار والغاء الزيارة منداً بعدم اهتمام عبد الكريم بمواعيده حتى بعد تحرره من الوزارة، وازمع على ترك وزارة الدفاع، ولكني رجوته الانتظار فترة اخرى لنرى ما لدى سيادة الزعيم ليرتب هذا الموعد المشترك، ولما ان وصل المرحوم عبد الكريم الى وزارة الدفاع استصحبنا من جناح مكتبه الى جناح آخر يقع في الجهة الجنوبية مع غرف وزارة الدفاع كان المرحوم قاسم قد اعده مركزاً لضباط الاستعلامات الرئيس (سعيد الجنابي) وقد رأينا هناك ملفات تتعلق بالقضايا السياسية وببعض السياسيين الذين التقوا مع عبد الكريم وغيرهم في مسعى لتنظيم امور الادارة السياسية استجابة لالحاح وضغط كثير من اعوان الحكومة ومن الاصدقاء الشخصيين داخل العراق وخارجه على المرحوم عبد الكريم بان يرتب مكتبه واموره الروتينية وان يقلع عن المستوى القديم مستوى آمر فوج الى مستوى رئيس دولة مسؤول عن شؤونها كافة.

لقد اخبرنا المرحوم قاسم آنئذ انه سيناقش في ذلك المساء الاربعاء – على ما اذكر في مجلس الوزراء قضية ارتباط شركة النفط الوطنية بوزارة النفط او برئيس الوزراء – وهي قضية كثر الخلاف حولها انذاك، وقد عرضنا رأينا وملخصه ان ينص قانون شركة النفط الوطنية على ارتباطها برئيس الوزراء لابوزير النفط، لأن معركة النفط، والشركة من بين قطاعاتها الاساسية – وقد كانت مهمتها انشاء قطاع نفط وطني مستقل عن قطاع الشركات النفطية المالكة (شركة نفط العراق واخواتها) هي مسألة سياسية اساسية تنفذ مقابلة ومعارضة للشركات التي تتمتع بشكل كلي باسناد حكوماتها – بريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا وهولنده وحصة كولينكيان المقيم في البرتغال، ولذلك يجدر ان تكون اعمال هذه الشركة تحت اشراف الجهة السياسية العليا في العراق.

ولما أن طال النقاش في الموضوع اقترحت انذاك ان يستهدى في الحكم على قانون شركة النفط الوطنية العراقي – وكنت انا الذي وضعت مسودة القانون وقامت وسائل الاعلام بنشره مع حواشي على نصوصه وفق اسلوب الشرح على المتون – بقانون بنك الرافدين الذي اسس بصورة مستقلة – لكن وزارة المالية انما جعلت مشرفة عليه لتنفيذ السياسة المصرفية العامة للدولة، وقد طلب المرحوم عبد الكريم إليّ ان اجلب له في اليوم الثاني نسخة من قانون بنك الرافدين، ولما ان زرته في مساء اليوم التالي ١٩٦٢/٢/٧ حوالي الثامنة مساءً في الجناح الجديد الذي صممه المرحوم المهندس قحطان عبد الله عوني مقابل سلم الباب الرئيسي لوزارة الدفاع في المركز الوسط بين جناحي وزارة الدفاع ملحقا بالجانب المشرف على دجلة، وقد جاء الى هناك بناء على موعد سابق المرحوم الاستاذ مصطفى علي وزير العدل السابق – وكان قد استقال من وزارة العدل – وكان من بين موقعي عريضة (السلم في كردستان) التي نظمها الاكراد والشيوعيون كجزء من الحملة ضد الحرب التي بدأت ضد الاكراد، وقد قام المرحوم عبد الكريم باطلاعنا على ملف لحلف بغداد والقواعد العسكرية التي كان الحلف ينوي بناءها شمال العراق ضد الاتحاد السوفيتي.

لقد كان المرحوم قاسم طلب من المرحوم مصطفى علي على ضرورة الالتفاف حوله لانهاء التمرد الكردي وكان يؤشر على خارطة تشير الى مناطق الحركات العسكرية وهنا مازلت اذكر – ان عينيه بدأت تدمع وانه يبكي لفرط تأثره وحزنه وعمق حماسه في الحديث عن القضية الكردية وكان منظره دليلا على ما انتابه من الاسى والاسف للحكومة وله شخصيا – قد فشلوا في الاستجابة لاحدى النقاط الجوهرية من شعارات الحركة الوطنية العراقية – حول القضية الكردية – هي المسألة التي حاول عبد الكريم بذرائع شتى تنطوي على محاكاة لقضية او على تبريرات تاريخية او شخصية لتفسير موقفه منها والتي لم يقر فيها اكثر وزراته وكان يشجعه عليه العسكريون من حوله، وبعد ان اكد سيطرته وسيطرة الجيش العراقي على مناطق كردستان الاساسية ذاكرا اسماء الاقضية والمواقع الكردية المتعددة دربندي خان، وقلعة دزه، وسيد صادق وغيرها، طلب الى المرحوم مصطفى علي ضرورة الالتفاف حوله لانهاء التمرد الكردي، وكان يؤشر على خارطة تشير الى مناطق الحركات العسكرية وهنا – لا زلت اذكر – ان عينيه بدأت تدمع وانه بكى لفرط تأثره وحزنه وعميق حماسه في الحديث عن القضية الكردية، وكان بكاؤه دليلا على ما انتابه من الأسى والاسف لان حكومته وهو شخصيا – قد فشلا في الاستجابة لاحدى النقاط الجوهرية من شعارات الحركة الوطنية العراقية – حول القضية الكردية – وهي المسألة التي حاول عبد الكريم بذرائع شتى تنطوي على مماحكات لفظية او على تبريرات تاريخية او شخصية لتفسير موقفه منها والتي لم يؤيده فيها اكثر وزراته وكان يشجعه عليه العسكريون من الموجودين حوله.

ومن ثم أمر بايصال المرحوم مصطفى علي الى بيته في بغداد الجديدة بعد ان طمنه واوصاه بضرورة معاودة الاتصال به للبحث في الشؤون العامة والخاصة ضاربا له المثل بموقفي منه وكيف اتصل به لبحث مختلف المشاكل بالرغم من استقالتي وتركي الوزارة والبنك المركزي واي عمل رسمي في الحكومة. وبعد ان بحثت معه نقطة تابعية شركة النفط الوطنية وعرضت عليه طبيعة قانون بنك الرافدين. كررت بوضوح رأيي في وجوب ان ترتبط شركة النفط الوطنية برئيس الوزراء، او مجلس الوزراء، وكررت عرض هذا الرأي امام مجموعة الضباط من المرافقين وغيرهم عندما اخبرهم ان ولادة الشركة الوطنية للنفط وما سينجم منها من خير مالي للبلاد قد انتهت وسيعلن عنها. وقد سمعت انه بعد ٨ شباط ومقتل المرحوم الزعيم عبد الكريم وجدت لائحة قانون شركة النفط الوطنية على مكتبه في وزارة الدفاع، وترددت هذه الاشاعة كثيرا من قبل مؤيدي عبد الكريم ومعارضيه الذين استولوا على السلطة في ١٤ رمضان الموافق ٨ شباط.

اما ما قبل هاتين الليلتين في ٦ و٧ من شباط سنة ١٩٦٣ والتين انتهتا صبيحة ٨ شباط سنة ١٩٦٣ بانقلاب ١٤ رمضان. تجدر الاشارة اني قابلت الزعيم عبد الكريم في اوائل شباط للاستئذان بالسفر الى اجتماع لجنة التضامن الاسوي – الافريقي مع صديقي نائل سمحيري الى افريقيا، وقد كان المرحوم عبد الكريم تعبا وساهبا حينما اخبرته بذلك فقال: (الله يكتب لك السلامة) ثم انتبه ورفض بشدة فكرة سفري بعيدا بان (عنده اشغال قريبة وهو يريدني الى جانبه، وهو سيدبر لي سفرة جيدة تعوضني عن هذه السفرة) وقد استجبت لرجائه في عدم السفر، على اني سمعت من مصادر عدة بعد ذلك وايدها الصديق الزعيم احمد محمد يحيى وزير الداخلية انذاك، ان عبد الكريم كان قد اخبره انذاك انه يزمع اجراء تغييرات اساسية – بعد ان اكتشفت المؤامرة على حكمه – يوم الاحد في ١٩٦٣/٢/١٠، ولكن الانقلاب المسلح اندلع في ١٩٦٣/٢/٨ ولقد سافر الاخر المرحوم نائل سمحيري ممثلا للجنة العراقية للتضامن مع الشعوب الاسيو – افريقية ومقرها القاهرة الى مؤتمر المنظمة وهناك حدث انقلاب ١٤ رمضان سنة ١٩٦٣ وكان ممثل حزب البعث في المؤتمر المرحوم الاستاذ ميشال عفلق وصلاح البيطار وحدثت مواجهة بينهما وبين الاستاذ نائل وبقي نائل في اوروبا لمدة اشهر قبل العودة الى بغداد.

كما حضرت مع المرحوم عبد الكريم حفل افتتاح معمل شركة الصناعات الخفيفة في الرستمية لصنع الصوبات "الدفايات" والطباخات النفطية ومعملها في المسبح لتجميع الراديوات والتلفزيونات ووضع حجر الاساس في الرستمية لمعملها للعلف الحيواني الذي احيل بعهدة شركة (بوهلر) السويدية الشهيرة للمطاحن وسايلوات الحبوب (وقد ترك هذا المشروع بعد ٨ شباط بعد ان هدم حجر الاساس له وسرقت ورقة العشرة دنانير التي وضعت فيه).

اما المرة الاخرى التي قابلت فيها المرحوم عبد الكريم قاسم في سنة ١٩٦٣ فكانت في اوائل السنة عندما ذهبت الى وزارة الدفاع لاخباره، بسفري للبصرة يومين للاستحمام في بيت على شط العرب لأحد الاصدقاء فكلفني انذاك – وهو تكليف ذو دلالة بالتفكير جديا في دستور دائم مبني على اساس انتخبي لمجلس امة ديمقراطي وبوضع مسودة لهذا الدستور اثناء تفرغي في المنتجع على ضفاف شط العرب في البصرة، وقد قمت بتحرير القسم المتعلق بالسلطة القضائية في الدستور وتم تمزيق بعد ذلك في شباط خوفا من تحري السلطة آنئذ.

واذكر انه في إحدى مناسبات زياراتي له في وزارة الدفاع انه اصطحبني معه لاحتفال في كرادة مريم في (قاعة الخلد) يقيمه اتحاد العمل والفلاحين سوية لمناسبة لا اذكرها ولكني ذهبت معه وخطب انذاك خطابا هدد فيه المتآمرين والمتقاعسين مرتين بعد توارد الانباء عن مؤامرة لقتله كانت مدبرة له آنذاك، قد عدت معه في سيارته العسكرية الروسية الصنع الى وزارة الدفاع. وسألني ونحن في الشوارع البغدادية في الكرخ عما اذا كنت (قد رأيت مدينة الشعلة في ظاهر قضاء الكاظمية في الكرخ وما عد فيها من دور سكن للناس، حيث انه – اي عبد الكريم قاسم – قد آلى على نفسه ان يوفر دار سكن لكل عراقي من الشمال الى الجنوب – وانتقد معارضيه الذين يتهمون اخاه حامداً ظلماً بانه قد اشترى دارا لسكناه على شاطئ كرادة مريم في بغداد مقدرا بان دار سكناهم هو وابوه واخوه كان على جانب دجلة في الصويرة ايضا)، على ان المرحوم عبد الكريم قاسم قتل في العاشر من شباط سنة ١٩٦٣، في دار الاذاعة العراقية ببغداد، وبعد ان دفن في المقبرة وفي اليوم التالي لمقتله جاء إليه فقراء الناس من مناصريه – من فلاحي جنوبي العراق للاحتفال بمقتله وتقديسه على الطريقة العراقية في الاحتفال بالمقابر إذا ما فاتتهم او خرجت عن قدرتهم حماية القديسيين من الموتى، وذلك من فرط حبهم لمن يعتقدون فيهم القدسية، فما ان رأت السلطة ذلك نبشت القبر واخرجت جثة عبد الكريم قاسم منه، والقت الجثة بحجر، واودعتها في اعماق دجلة رامية اياها من سطح النهر – كما روى لنا الرواة في حينه وبهذه الطريقة المتوحشة والبعيدة عن الحضارة والوفاء والمروءة والخلق الانساني انتهت حياة الزعيم عبد الكريم قاسم البكر وانتهى وجوده على هذه الارض.

عن كتاب عبد الكريم قاسم وعراقيون آخرون ذكريات وانطباعات

محمد حديد وانقلابيو شباط 1963

وفقا لبعض المصادر المطلعة على الاوضاع في المنطقة في ذلك الحين، كان حزب البعث في سورية قد استأنف نشاطه، واعاد علاقاته مع حزب البعث في العراق، الذي كان، رغم اجازته كحزب رسمي، مغامرا وفعالا في عمله السري وفقا لتلك المصادر.

وفي مستهل عام ١٩٦٣ بحث اعضاء من حزبي البعث العراقي والسوري، في بيروت، وسائل تغيير النظامين في البلدين ونظرا لاهمية مشاركة ضباط الجيش المرتبطين بالبحث، او الذين يمكن تعاطفهم تشكلت لجنة سرية ضمت ممثلين عن حزب البعث، ومجموعة من الضباط الاحرار بهدف السعي للاطاحة بحكم عبد الكريم قاسم، وكانت دوافع بعضهم ناتجة عن انتمائهم الى حزب البعث، بينما تجسدت دوافع البعض الاخر في اطار العداء الشديد لحكم عبد الكريم قاسم.

ورغم ان واجهة المؤامرة كانت بعثية الا انها كانت ، في الواقع، من عمل الضباط المصممين على استمرار وتعزيز الطبيعة العسكرية للحكم، رغم النزعات الايديولوجية التي حاول حزب البعث تغليف ذلك التوجه بها.

وفي تلك الفترة كانت البلبلة في الوضع السياسي مستمرة، وكذلك التباطؤ في تنفيذ الاصلاحات المطلوبة، فضلا عن الحركات العسكرية في الشمال ضد الاكراد، وازمة الكويت. وكانت هذه امورا شجعت العناصر والقوى الخارجية على التآمر ضد النظام، والقيام بحركة عسكرية للاطاحة به. وبرغم ذلك كان التأييد الشعبي للحكومة ما يزال واسعا. ولم يكن هناك، في الواقع، تذمر خطير يهدد النظام، عدا الاضراب الذي بدأه بعض طلاب جامعة بغداد في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٢.

وجراء شعور قاسم بالخطر من بعض المتآمرين لجا الى اعتقال بعضهم وانذار البعض الآخر، الامر الذي زاد من حذر المتآمرين ، ودفعهم الى التحرك السريع.

ونتيجة لذلك التآمر فوجئت الجماهير العراقية صباح يوم ٨ شباط ١٩٦٣، وكنت في ذلك اليوم قد نهضت من النوم متأخرا نوعا ما لانني تاخرت في النوم الليلة السابقة، وقد كانت ليل اول خميس في الشهر حيث موعد بث حفلة اغاني ام كلثوم من اذاعة مصر. وعندما كنت استحم في ذلك الصباح اخبرتني زوجتي ان ابني هيثم اتصل بها هاتفيا ليقول لها انه سمع من اذاعة بغداد بيانا حول انقلاب عسكري للاطاحة بحكومة عبد الكريم قاسم، فانهيت الاستحمام بسرعة، وبدأت الاستماع الى الراديو، فاذا بصوت سيدة، علمت في ما بعد انها هناء العمري (زوج علي صالح السعدي)، يلعلع باذاعة البيان رقم واحد بوقوع الانقلاب، اضافة الى بث اناشيد حماسية، وذكرت الاذاعة بان طائرات المتآمرين بدأت بقصف وزارة الدفاع ومعسكر الرشيد، فحاولت الاتصال بوزارة الدفاع، وبدار عبد الكريم قاسم، فلم استطع لانقطاع خطوط الاتصال.

فاتصلت ببعض الاصدقاء والزملاء السياسيين، وعلمت ان الجماهير محتشدة في الشوارع، وان عبد الكريم قاسم توجه الى وزارة الدفاع وسط هتافات الجماهير المؤيدة له. وحسب ما علمت في ما بعد فان مناقشة جرت بين عبد الكريم قاسم وبعض الضباط المؤيدين له حول خطة المقاومة، اذ كان بعضهم يرتأي ان يذهب الى مقر اللواء ١٩ في معسكر الرشيد الذي كان عبد الكريم قاسم قائده، وكان الافراد وضباط الصف يؤيدونه تاييدا مطلقا. وكان البعض الاخر يرتأي الذهاب الى وزارة الدفاع باعتبارها مركزا للاتصال مع مختلف القطع العسكرية، فرجح

الاستاذ محمد حديد

الاختيار الثاني الذي لم يجد نفعا، من الناحية العملية، لان كثيرا من القادة العسكريين، كما بينت سابقا، كانوا اما متآمرين او تخلوا عن الولاء لعبد الكريم قاسم، ولم يظهروا استعدادا للتحرك ضد الحركة الانقلابية.

ولو ان عبد الكريم قاسم ذهب، حسب رأيي ، الى مقر اللواء ١٩ واستخدم ذلك اللواء في السيطرة على المراكز المهمة في بغداد ، لربما نجح في قمع تلك الحركة، ولكان وضعه افضل من التقوقع في وزارة الدفاع التي كانت هدفا لهجوم الطائرات، وقصف القوات المتمركزة في الوزارة. كما ان المتآمرين استخدموا بعض وسائل الخداع، اذ كانت بعض الدبابات التي سيطر عليها من معسكر ابو غريب تحمل صور عبد الكريم قاسم لحمايتها من غضب الجماهير المحتشدة على طول الطريق، والتي كانت تطالب بالسلاح لمقاومة الحركة الانقلابية، ولكن عبد الكريم قاسم لم يستجب لذلك الطلب تحاشيا لقيام حرب اهلية.

احمد صالح العبدي

وقوبل الانقلاب بمقاومة شعبية قوية، حيث قامت خلال اليومين الاولين مقاومة في الشوارع ادت الى خسائر كبيرة في الارواح قبل انيتمكن الانقلابيون من السيطرة على الموقف.

وبدأت على اثر ذلك حملة ارهابية واسعة ضد الشيوعيين والمتهمين بالشيوعية اودت بحياة الكثيرين منهم، وكان من بينهم المعتقلون منذ حوادث الموصل وكركوك. وسادت شريعة الغاب في اعمال الانتقام ضد المعارضين للبعث وهو انقلاب لم تشهد البلاد له مثيلا من قبل.

وقد ذكرت بعض المصادر الموثوق بها، وبينهم بعثيون، ان جهاز المخابرات المركزية الاميركية CIA برئاسة المستر الن دالاس، الذي كرس طاقاته لمناهضة الشيوعية في فترة الحرب الباردة، كان مشاركا في عملية الاطاحة بنظام قاسم، وفي حالات غير قليلة زودت المخابرات الامريكية الانقلابيين باسماء شيوعيين معينين كان مصيرهم القتل.

واظهرت المقاومة التي جرت في شوارع بغداد، والتي فاجأت القائمين بالانقلاب شعبية عبد الكريم قاسم، واقلقت هذه المقاومة الانقلابيين الذين استخدموا اساليب الانتقام حتى من ضباط وجنود القوات المسلحة الذين قاموا بواجبهم في مقاومة الانقلاب.

وكانت دوافع منفذي مذبحة الشيوعيين والمعارضيين الاخرين للبعث تكمن في الثأر ممن دعموا نظام قاسم، من جهة، والتخلص من المبادئ المناهضة للبعث من جهة اخرى.

اما انا فبقيت في البيت انتظر تطورات الاحداث واراقبها من خلال الراديو والتلفزيون، فعلمت بقرار حجز اموالي واموال زوجتي وابني هيثم، مما يدل على انه قد تقرر اعتقالي، ولكني بقيت في داري منتظرا تطور الاوضاع الى ان حسمت المعركة باستسلام عبد الكريم قاسم وظهور صورته في التلفزيون وهو يعدم في دار الاذاعة. وذلك ما قصده المتآمرون من اعلانه بالتلفزيون، اي التأثير في معنويات الجماهير.

وبعد ذلك قررت بناء على اقتراح من زوجتي في يوم الاحد، بعد اعدام عبد الكريم قاسم وانتهاء المعركة لصالح المتآمرين – وكنت متوقعا اعتقالي، ان انتقل الى دار نسيبي نجيب الصابونجي في منطقة العلوية، كانت خالية لان نجيب الصابونجي كان خارج العراق. فانتقلت ، مع زوجتي وابنتي الى هناك، تجنبا لاية احتمالات اعتداء متوقعة قد تقع علينا في داري المعروفة، وتركت الحارس في البيت.

وهناك اخذت الاخبار تصلني من الحارس حول زيارة مجموعة من الضباط الى بيتي والتجول في غرفة، والاستفسار من الحارس عن مكاني. وكان يجيبهم بعدم معرفته المكان الذي توجهت اليه. وقد علمت فيما بعد ان احد الضباط حيثما وجد على مكتبتي قسما من محاضر مفاوضات النفط، ومسودة القانون رقم ٨٠ قال للحارس هذه اوراق ومستندات يجب العناية بها والمحافظة عليها.

وفي يوم الاربعاء ١٣ شباط (فبراير) ١٩٦٣ اخبرني الحارس بان الضباط جاؤوا ثانية والحوا على معرفة مكاني وهددوه بالاعتقال ان لم يخبرهم، فشعرت عند ذلك بان لا مناص من تسليم نفسي الى السلطة، فكلمت – هاتفيا – الصديق صديق شنشل سكرتير حزب الاستقلال الذي كانت لي معه صداقة وعمل مشترك في الاعداد لثورة ١٤ تموز (يوليو) ١٩٥٨، والذي كان يفترض ان يكون كلامه مسموعا لدى الانقلابيين، واخبرته بمكاني، واعلمته ان هناك محاولة لاعتقالي. فجاء الى البيت الذي كنت فيه، وبعد قليل جاء مدير شرطة النجدة عبد الموجود، وهو تكريتي على معرفة بعائلتنا فيالموصل، وكان يرافقه معاون شرطة لقبه (السامرائي) وكان يبدو ان بعثي متحمس وعنيف، اذ تهجم علي شخصيا فنهره صديق شنشل. اما مدير شرطة النجدة فكان هادئا ومجاملا، واخذني مدير الشرطة بسيارته الرسمية عبر شارع الكفاح (غازي سابقا). وكان هناك اطلاق نار كثيف وكانت المقاومة مستمرة. واذكر ان مدير الشرطة ابلغ عبر تلفونه النقال بانه عثر على الدار التي يوجد فيها توفيق منير وكان يقاوم، فطلب منهم قتله. وقد وصلنا الى ثكنة الخيالة السابقة في باب المعظم، حيث مقر الحاكم العسكري، كما اتصل بصبحي عبد الحميد مدير الحركات الجديد.

وكنت قلقاً من ان يأخذوني الى مجلس السيادة الذي كان مقراً لقيادة حزب البعث التي كان يرأسها علي صالح السعدي، حيث اخذ كثيرون الى هناك واهينوا قبل إيداعهم السجن، حتى ان عبد المجيد جليل مدير الأمن العام قتل في الحال هناك، وقيل ان اغتياله كان بقصد إخفاء اسرار كثيرة تتعلق بحزب البعث.

أوعز الحاكم العسكري ان يأخذني مدير النجدة بسيارته الى السجن الرقم ١ في معسكر الرشيد. وهناك سلمني الى مدير السجن العسكري حازم الصباغ (الملقب بحازم الاحمر)، وهو من الموصل وله صلة قربى مع عائلة زوجتي الصابونجي، فكان غياب الشتائم نوعا من المجاملة. امر مدير السجن الحراس بايداعي بما سمّي بغرفة الوزراء، وهي غرفة قريبة من مكتب مدير السجن كان فيها اكثر من عشرين شخصاً من وزراء عبد الكريم قاسم وبعض المدراء العامين والمسؤولين المدنيين، وبعض العسكريين من مرافقي عبد الكريم قاسم، قاسم الجنابي وحافظ علوان. ومن الوزراء كان احمد محمد يحيى وزير الداخلية، واسماعيل العارف وزير التربية، ومحمد سلمان وزير النفط، وطلعت الشيباني وزير التخطيط. وكان هناك ايضا رشيد مطلك الذي كان صديقا لعبد الكريم قاسم، وحسن الطالباني وزير المواصلات، وحسن رفعت وزير الاشغال والاسكان، وبعض الشخصيات الاخرى ممن لا اتذكر اسماءهم وكان بعض الزملاء الموجودين يقومون بمساعدتي في حياتي اليومية في المعتقل.

وكان في الغرفة المجاورة احمد صالح العبدي رئيس اركان الجيش، وهاشم جواد وزير الخارجية. وكانت هناك عدة قاعات اخرى مليئة بالمعتقلين واكثرهم من العسكريين المتهمين بالشيوعية او بتاييد عبد الكريم قاسم. وطلبت من السيد عبد الموجود الذي اتى بي الى الموقف بان يدبر لي ايصالٍ عدة نوم وملابس من داري، فقام بذلك فعلاً، فافترشت الارض شأن المعتقلين الاخرين الذين كانوا يتمددون واحدا بجانب الآخر. وكان ملحقا بالغرفة مغسلة ومرحاض، في حين ان نزلاء القاعات الاخرى كانوا يخرجون كل صباح الى المرافق.

وقد شكلت عدة لجان عسكرية ومدنية للتحقيق مع المعتقلين، ولجنة خاصة للتحقيق مع الوزراء وشخصيات الحكومة السابقة وبعض الشخصيات الرسمية الاخرى وكان رئيسها عبد الرحمن الدوري وسكرتيره الضابط النقيب علي كريم.

عن كتاب محمد حديد / مذكراتي الصراع من اجل الديمقراطية في العراق

أول تقرير صحفي تناقلته وكالات الانباء العالمية

"سقط عبد الكريم قاسم بشجاعة، فقد رفض ان تعصب عيناه، الا انه كان الوحيد الذي كبلت يداه خلف الظهر بين الرجال الذين اعدموا معه. وكانت الكلمات الاخيرة التي اطلقها قبل اعدامه: (انكم تستطيعون قتلي، غير ان اسمي سيظل خالداً في تاريخ الشعب العراقي)».

جريدة «لوموند»- في ١٤ شباط ١٩٦٣/ من جورج هربوز، المبعوث الخاص لوكالة الانباء الفرنسية في بغداد

العاصمة العراقية هادئة تماماً. ونلاحظ اعداداً كبيرة من المسلحين المدنيين يمخرون الشوارع. انهم اعضاء (الحرس القومي)، الذين يحملون اشرطة نسيجية خضراً على سواعدهم وينسقون مع رجال الشرطة.

وهم يتحركون تحت اشراف من الجيش بشكل واسع، الا ان مهمتهم الاساسية هي قنص الشيوعيين، وهي عملية بوشرت حال توقف المقاومة في وزارة الدفاع. هناك عدد من الشيوعيين ظل حتى يوم الثلاثاء ١٢ شباط، يواصل خوض معارك صغيرة في عدد من الاحياء ضد الحرس القومي.

في اللحظة الحالية تستعيد بغداد حركة شبه عادية، والاجواء بدأت تتجه نحو الهدوء. اذ يبدو ان يوم السبت ٩ شباط كان، بإقرار الجميع، اليوم الاكثر رعباً. لذا فقد حبس الناس انفسهم في المنازل، حيث حصل قطع في الكهرباء، كما ان اصوات رشقات الرشاشات كانت تسمع في اركان الشوارع. وبينما كانت الاوامر والاوامر المضادة تذاع من الراديو، كان شبان من حملة الاشرطة الخضر على السواعد يمارسون ما يشبه لعبة الحروب الصغيرة مقيمين دكتاتورياتهم في كل حيّ. التجول لا يتم الا بتصريح خاص يرخص به، الا ان اولئك الذين بحاجة ماسة له لا يعرفون لمن يتوجهون بالطلب لاستحصاله. وحتى عندما ينجحون في الحصول على مثل تلك التصريحات فانهم لا يجدون من يعترف لهم بصفتها الرسمية.

وكمثال على حملات (التطهير) الواسعة ما حصل في وزارة مهمة كوزارة النفط، حيث لم يسلم فيها سوى اثنين من الموظفين بينما القي القبض على جميع العاملين في الوزارة حتى صغار السن منهم وارسلوا الى المعتقلات. ففي الاوساط الرسمية للنظام الجديد نسمعهم يقولون بشكل دائم: "لدينا قوائم باسماء جميع الشيوعيين ولن نترك أحداً منهم يفلت من يدنا". والقلق كبير جداً في اوساط المسيحيين الكلدان الذين، كما يقال، اصطفوا مع الشيوعيين.

ان الاضرار المادية اقل مما تم تخيله، اذ كانت وزارة الدفاع مركز الهجمات الجوية، ومن الواضح بداهة انها تعرضت للقصف بكثير من القذائف والتي بمعظمها لم تكن صواريخ انما قنابل صغيرة العيار، وان كان كلام راديو بغداد خلال الساعات الاولى بعد انقلاب يوم الجمعة المصادف ٨ شباط، الذي أكّد قائلاً (لقد سحقت الدكتاتورية الخائنة كالجرذ تحت انقاض وزارة الدفاع)، اوحى بالاعتقاد بان الوزارة تعرضت لتدمير شبه كلي. عموماً، وبرغم آثار المعارك فيها، ليس لبغداد هيئة مدينة مهدمة تحت القصف بما في ذلك احياؤها الاكثر تعرضاً للاصابات.

قتل قائد القوة الجوية برشقة من رصاص رشاش

اما عن كيفية حصول الانقلاب الذي قامت به مجموعة من العسكريين المتمردين في يوم الجمعة الذي يصادف يوم الرابع عشر من شهر رمضان، فان التفاصيل اصبحت معروفة الآن لدينا.لم يكن الزعيم عبد الكريم قاسم موجوداً في وزارة الدفاع، التي هي مقر اقامته الاعتيادي، في اللحظة التي قامت فيها طائرات قاعدة الحبانية بمباشرة هجماتها صبيحة يوم٨ شباط. فيوم الجمعة هذا كان كغيره يوم التعطيل الاسبوعي للمؤسسات الرسمية والخاصة. فقد كان السكان قد سهروا حتى وقت متأخر عشيته، وكانت الشوارع خالية الا من عدد قليل من المارة. كما ذكرت الاذاعة العراقية ان الزعيم عبد الكريم قاسم قام في ليلة الخميس على الجمعة بواحدة من جولاته التفقدية التي اعتاد القيام بها الى عدد من احياء العاصمة. وفي الساعة الثامنة و النصف توقف البث الاذاعي فجأة. ثم تبين ان فريقاً صغيراً من العسكريين استطاع الاستيلاء على محطة الارسال الاذاعي الواقعة في منطقة تبعد قرابة خمسة كيلومترات شمال شرقي بغداد. وقد تكوّن الفريق من بعض الضباط الشباب شأن معظم الذين شاركوا في تنفيذ هذا الانقلاب العسكري.

في نفس الوقت، بوغت قائد الجوية العراقية (الزعيم جلال الاوقاتي) بجماعة اخرى من صغار الضباط نجحت باقتحام منزله وسارع افرادها الى غرس بنادقهم الرشاشة في صدره طالبين منه ان يضع توقيعه على أمر يقضي بشن عملية جوية ضد وزارة الدفاع الوطني مقر اقامة الزعيم قاسم. ولما رفض ان يفعل ذلك، ازداد الضباط الشباب حدة في عدوانيتهم. عندئذ وضع الزعيم (الاوقاتي) احد اطفاله في حضنه معتقداً ان ذلك كفيل بردعهم قليلاً، الا انهم على العكس صاروا اشدّ شراسة وخطراً في تهديدهم. وهنا، وتحت فوهات البنادق الرشاشة المتحفزة نحو رأسه وافق على توقيع أمر القيام بالعملية. بيد انهم وحال انتهائه من وضع توقيعه اطلقوا عليه رشقات رصاص عدة اردته قتيلاً في الحال.

هذه هي البداية الفعلية الاولى لعملية تنفيذ الانقلاب العسكري. وفي تلك اللحظة كانت عدة طائرات قادمة من قاعدة الحبانية قد ظهرت فجأة فوق قاعدة عسكرية اخرى كائنة في موقع جنوب غربي بغداد تسمى بـ«معسكر الرشيد» يرابط فيها عادة قسم مهم من القوة الجوية والدبابات. فالجماعة المتمردة كانت تعرف مسبقاً بانها لا تمتلك أي حظ في كسب ضباط الجو العاملين في معسكر الرشيد الى جانبها. لذلك سارعت، عبر عمليات قصف نُفذت جيداً، الى تدمير جميع اسراب الطائرات الرابضة هناك خلال بضع دقائق فقط.وبفضل الفوضى التي نتجت عن ذلك، بوشرت الهجمات الجوية على مقر وزارة الدفاع الوطني. حيث كانت الطائرات القادمة من معسكر الحبانية تحلق على ارتفاع منخفض، مقتفية مسار مياه دجلة المتاخم للجانب الشمالي من وزارة الدفاع، قبل ان تنطلق لتلقي قذائفها فوقها ثم تصعد محلقة عالياً في سماء مدينة بغداد نفسها. هذه الفعاليات الجوية التي ايقظت جميع سكان بغداد من نومهم، اعطت الانطباع خلال بعض الوقت بان ما يجري هو مجرد مناورة جوية. غير ان راديو بغداد سرعان ما باشر اذاعة البيان رقم واحد الصادر من (المجلس الوطني لقيادة الثورة» الذي اعلن «ان زمن الدكتاتورية الخائنة وزمرتها انتهى بعد ان سحقت كالجرذ تحت انقاض وزارة الدفاع).

لكن وحتى تلك اللحظة لم يكن الأمر كذلك في الواقع. بل ان الزعيم عبد الكريم قاسم لم يكن آنئذ في أي من المباني التي كانت الطائرات تهاجمها.

الشعب يحيي قاسم تحية الوداع

ففي فجر ذلك اليوم، وبعد اختتام جولته التفقدية المعتادة في شوارع بغداد النائمة، ذهب الزعيم قاسم الى منزل والدته التي كانت تسكن في منطقة «الكرادة». ولهذا فانه فوجئ، شأنه شأن باقي سكان بغداد، بحصول الهجمات الجوية. ولقد ظل على اتصال تلفوني مع الوزارة قرابة الساعتين قبل ان يذهب بنفسه الى مقر قيادته العامة في نحو ما بين العاشرة والعاشرة و النصف صباحاً ليتولى بنفسه قيادة المقاومة ضد الانقلاب العسكري.

فقبل ان يدخل مباني الوزارة المقصوفة، تجول في عدد من احياء بغداد، ظاهراً بنفسه امام السكان بهدف تبديد آثار الاعلان عن موته عبر اذاعة بغداد. ولقد بدا قاسم مطمئناً جداً بينما كانت الاوساط الشعبية البغدادية تعبر له عن حبها بشكل صادق وهي تودعه في لقائها الاخير معه في تلك اللحظة. وكان السكان في تلك الساعة يتابعون معركة اذاعية بين محطتي الراديو والتلفزيون. حيث كان الراديو الذي سقط بأيدي المتمردين يعلن موت قاسم، بينما كانت محطة التلفزيون، التي يبدو ان «المجلس الوطني لقيادة الثورة» نسيها في حساباته، تعلن من جانبها ان «الزعيم المخلص» لا يزال على قيد الحياة وهو الذي يقود المقاومة، كما راحت تبث اشرطة يظهر فيها وهو يخطب في الجماهير. عندئذ، وبعد ان فشلت محاولاته العديدة لقطع البث التلفزيوني عبر الاوامر الهاتفية، اصدر «المجلس الوطني للثورة» اوامره للطائرات بقصف مبنى التلفزيون. وبانقطاع البث التلفزيوني فجأة هكذا، خسر قاسم الوسيلة الوحيدة التي ظلت بيده للحفاظ على قناة اتصال مع جماهير الشعب في بغداد.

مدرعات معسكر الرشيد رفضت التحرك

حتى نهاية صباح يوم الجمعة ذاك، كان قاسم لا يزال صامداً، حيث استطاع العسكريون السبعمئة الموجودون في وزارة الدفاع ان ينظموا مقاومة كفيلة بتعريض الطائرات التي تحاول مهاجمتها الى الخطر. وهنا جاء تدخل المدرعات بمثابة المرحلة الثانية في عملية التمرد، اذ انه هو الذي سيقلب كفة الوضع لمصلحة الضباط الشباب الذين كانوا قد حضروا للانقلاب بجرأة لكن بشكل عجول جداً في ذات الوقت. ففي بغداد معسكران كبيران احدهما يعرف باسم (معسكر الرشيد) والآخر باسم (الوشاش)، تتواجد في كل منهما اعداد مهمة من القوات المدرعة. وبرغم ان قوات الوشاش اعلنت تأييدها للانقلاب العسكري منذ الدقائق الاولى للتمرد، فانه كان ينبغي الانتظار حتى بداية ما بعد الظهيرة، لكي نرى الدبابات تظهر في شوارع بغداد لتقوم بتطويق وزارة الدفاع من بعيد، وذلك لأن العمليات الجوية للطائرات منعتها من الاقتراب جداً من مباني الوزارة المحاصرة.

وهنا، ومن داخل الوزارة، راح قاسم يحاول التمكن من استقدام القوات المدرعة المرابطة في معسكر الرشيد لتجيء في نجدته، غير انه كان يواجه رفضاً مبطناً من لدن المسؤولين فيها. حيث كان قائد القوات المدرعة في معسكر الرشيد يراوغ زاعماً بانه عاجز عن القيام بشيء. لكنهم يقولون اليوم في بغداد ان ضباط المدرعات كانوا يعتقدون منذ ١٨ كانون الاول ١٩٦٢، بان قاسم يشك في ولائهم، حيث قام في احد الاجتماعات العسكرية معهم بابراز ورقة مطوية في يده وهو يقول لهم "انني اعرف ان بينكم من يحضر لمؤامرة ولديّ في هذه الورقة اسماؤهم وبعضهم من كبار الضباط..".

الساعات الاخيرة من حياة الزعيم قاسم

اعدم الزعيم عبد الكريم قاسم في قاعة الموسيقى العربية في دار الاذاعة ببغداد، والتي استخدمت كمقر لقادة التمرد ضد نظامه في ٨ شباط.

لقد مات قاسم بشجاعة، فهو رفض ان تعصب عيناه، الا انه كان الوحيد، بين الرجال الذين اعدموا معه، الذي كبلت يداه الى بعضهما خلف الظهر. وكانت الكلمات الاخيرة التي اطلقها قبل اعدامه: (انكم تستطيعون قتلي، غير ان اسمي سيظل خالداً في تاريخ الشعب العراقي).

وفي فيلم الاعدام الذي بثه تلفزيون بغداد مساء يوم السبت، التاسع من شباط، (بين فيلمي كارتون امريكيين) نشاهد بالقرب من اجساد قاسم والرجال الثلاثة الآخرين، بعضاً من الآلات الموسيقية الخاصة بفرقة الاذاعة.

لقد سلم قاسم نفسه في الساعة السادسة صباح يوم السبت. لكن اعدامه لم يتم الا في الواحدة والنصف من بعد ظهر ذلك اليوم. وقبل ايقاف القتال، كما طوال كل نهار وليل يوم الجمعة ٨ شباط، اشتبك في مواجهات هاتفية عديدة مع قادة (المجلس الوطني للثورة» ولا سيما مع عبد السلام عارف الذي اصبح رئيساً للجمهورية في حكومة الانقلاب العسكري. (بمَ تستطيعون اتهامي)) كان قاسم يسأله بالحاح، وعارف يكتفي بالجواب (نريد منك ان تستسلم...).

ولقد عرض قاسم ان يسمحوا له بمغادرة العراق طالباً ضمان انتقاله. لكنه، وبمواجهة الرفض الذي قوبل به طلبه، كان يخطط للتسلل الى نهر دجلة، الذي يمر على مقربة من وزارة الدفاع، بأمل التمكن من الوثوب الى قارب سريع يمكنّه من الانتقال الى خارج بغداد. الا ان الوزارة كانت تحت القصف من كل جانب كما ان قوة من الشرطة كانت قد استولت على قاربه أصلاً. وامام استمرار القصف على وزارة الدفاع عادت المجادلات الهاتفية بين قاسم وعارف. فالزعيم قاسم يطلب ان تضمن له حياته وعارف يجيب (وهل ضمنّا حياة فيصل) (ويقصد فيصل الثاني ملك العراق الذي قتل في ١٤ تموز ١٩٥٨).وعندما توقف القتال وبدأ المظليون يتوغلون باحتراس داخل وزارة الدفاع بغرض اعتقال قاسم والمجموعة الاخيرة من الاوفياء له، كان قاسم موجوداً في المسجد داخل وزارة الدفاع. غير ان العسكريين المتوغلين لم يقدموا على اعدامه في الحال انما اقتادوه الى دار الاذاعة في بغداد ومعه العقيد فاضل عباس المهداوي (الرئيس السابق لمحكمة الشعب) والعقيد طه الشيخ احمد والرئيس الاول خليل كنعان.

استجواب مأساوي وخاطف

في الاذاعة، بدأ عبد السلام عارف بنفسه استجواب الزعيم قاسم، وكان استجواباً، حسب رواية العديد من الشهود، خاطفاً ومأساوياً في ذات الوقت. فكل ما كان يهم عارف في الاستجواب هو ان ينطق قاسم امامه انه، اي قاسم، (لم يكن القائد الحقيقي لثورة ١٤ تموز ١٩٥٨)، وانه «خان الثورة».. وبينما كان المجلس العسكري المجموع على عجل، في احدى قاعات الاذاعة يجهد لتلبيس اعدام قاسم ورفاقه الثلاثة لباساً قانونياً، كان الضباط الصغار يتشاجرون فيما بينهم لنيل "شرف" رئاسة المجموعة التي تتولى قتل عبد الكريم قاسم. وقد انتهى الامر باختيار عبد المنعم حميد على اساس انه "تعرض الى الاعتقال بأمر من قاسم".وفور انطلاق رشقات الرصاص التي اودت بحياة عبد الكريم قاسم والمهداوي وطه الشيخ احمد وخليل كنعان (وكان الأولان جالسين على كرسيين والأخيران واقفين) سارع راديو بغداد الى اعلان نبأ الاعدام حتى قبل ان يذيع نبأ اعتقالهم.. وهنا ايضاً جرى البحث عن شخص يستحق شرف اعلان "موت الطاغية" على الشعب العراقي. وقد جرى في النهاية اختيار بنت الزعيم الطبقجلي. لأن ابيها كان بين الذين حكم عليهم بالاعدام من قبل محكمة الشعب برئاسة العقيد المهداوي، وصادق قاسم آنذاك على قرار الحكم.

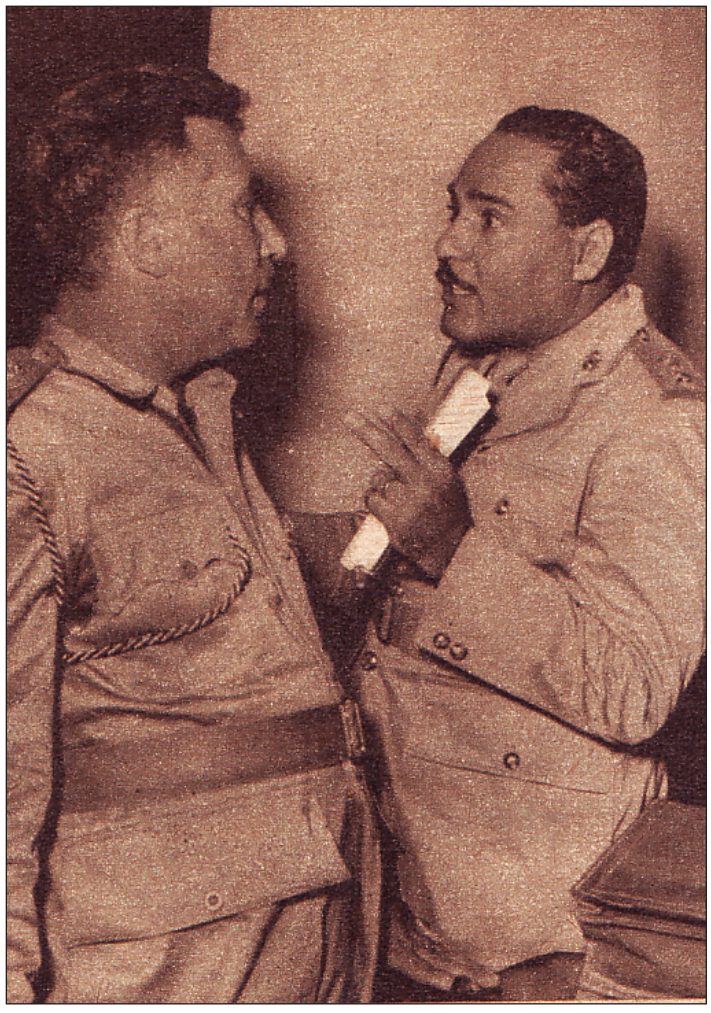

ماجد محمد امين والمهداوي

حقائق من انقلاب شباط

صالح دكله

محمد حسين ابو العيس

عبد الجبار وهبي

عبد الرحيم شريف

منذ كانون الاول ١٩٦٢ ازداد النشاط التآمري لحزب البعث وقد مهد الانقلابيون لمخططاتهم باعلان اضراب الطلاب القوميين في مدارس بغداد في ٢٤ كانون الاول حيث انتشر الاضراب الى بعض كليات الجامعة ايضا وذلك لتحويل انتباه الحكومة عن الجيش والتستر على نيات البعث الانقلابية.

ومن المؤسف ان اقول عن الاضراب الطلابي هذا بعد ان انتشر الى مدارس البصرة، ان منظماتنا الحزبية ومؤيدينا في صفوف الطلبة، كانوا في حيرة من أمرهم لا يعرفون كيف يتصرفون لاسيما وان الاضراب انطلق احتجاجا على ضرب الطلاب من قبل الانضباط العسكري الذي كان الطلاب الشيوعيون والديمقراطيون قد عانوا الكثير على يديه.

وفي الوقت الذي كانت اجهزة قاسم تواصل حملتها ضد الشيوعيين والديمقراطيين وتتجاهل نداءات الحزب الشيوعي الموجهة الى الحكومة لإجراء تطهير واسع في صفوف الجيش واطلاق سراح الموقوفين والمعتقلين والسجناء السياسيين واعادة العمل بحرية عمل الحزب الشيوعي، فقد واصل الحزب الشيوعي دعواته (للجماهير الشعبية) التحلي باليقظة والاستعداد للرد على تهديدات القوى الرجعية ومخططاتها التآمرية.

في الثامن من شباط ١٩٦٢ والمصادف يوم الجمعة ١٤ رمضان، كنت صباح ذلك اليوم وبعد تناولي افطار الصباح اقرأ الصحف الصادرة يوم الخميس وقد ادرت مفتاح جهاز الراديو لاستمع الى الاخبار، فلم يكن ثمة شيء غير عادي في اذاعة بغداد بعد ان بدأت تذيع بعض الاغاني، فما كان مني إلا ان اغلقت مفتاح الجهاز لانفرغ لقراءة الصحف اليومية، فاستغرقت في قراءتي ساعة او ساعتين، واذا بجرس باب الدار يدق وبالرفيق حسن مبارك (ابو مولود) وكان احد اعضاء لجنة المنطقة يدخل عاجلا ويتساءل ما اذا سمعت اخبار الانقلاب، فاجبته.. اي انقلاب، وادرت مفتاح جهاز الراديو فاذا باصوات الانقلابيين تصرخ والنشيد الذي كنا نسمعه صبيحة ثورة تموز "الله اكبر فوق كيد المعتدي" يتصاعد الى عنان السماء.. فلم اضع الوقت وانا ارتدي ملابسي استعدادا للخروج. فكرت ما الذي ينبغي عمله اولا وقبل كل شيء.. قدت سيارتي وطلبت من الرفيق ابو مولود الاسراع في تحشيد كل منظماتنا وجماهيرنا لتتظاهر على الفور مندده بالانقلابيين الفاشيين والتصدي لقواتهم ومؤيديهم. وتوجهت على الفور الى مطبعة الحزب وحررت بيانا بلغة نارية يدعو الجماهير للتصدي بكل الوسائل للانقلابيين الفاشيين عملاء الامبريالية والمخابرات الاجنبية وسحق انقلابهم "والدفارع عن الجمهورية" وكلفت عامل المطبعة واكدت عليه بعد ان يطبع البيان ان ياخذه الى المنظمات لتوزيعه باسرع واوسع شكل.

ولعلمي باهمية ان يقوم التنظيم العسكري بالتحرك المضاد، توجهت على الفور الى الدار التي يسكنها مسؤول التنظيم العسكري الرفيق (عبد الله علك)،/ فاذا به جالس ينتظر بدون اية حركة. فهززته من كتفه وقلت له، ما الذي تنتظره يا رفيق، تنتظر ان ياتي الانقلابيون لاخذك من الدار؟ فكان جوابه ما الذي يمكن ان اعمله والمفروض ان ياتي الي بعض العسكريين الى الدار لننسق عملنا معهم، فصرخت به: اذهب انت اليهم، الى دورهم، وانهضته واجلسته بجانبي في المقعد الاول للسيارة وانطلقت به الى دور الضباط، وفيما عدا واحد من ضباط القوة النهرية الذيك ان يحث الاخرين على المقاومة وهو ضابط من ابناء الموصل يدعى صلاح، فقد تخاذل البقية ولم يحركوا ساكنا. ومن المؤسف والغريب ان (عبد الله علك) انتظر ساكنا بدون اية حركة. حتى دخل عليه قطعان (الحرس القومي) واخذوه، معتقلا، ولم اسمع بعدها ما الذي جرى له، غير ان الضابط الشجاع وقد صدرت اوامر الانقلابيين بحبسه في سجن نقرة السلمان الصحراوي، استطاع الافلات في الصحراء من حراسه لكنه مع الاسف راح ضحية للذئاب المفترسة..!

لقد كشف تهافت تنظيماتنا العسكرية وانهيار روحها الهجومية القتالية، فضلا عن تراخي همة كوادرنا وتنظيماتنا مدى خطأ السياسة التي اتبعتاها منذ اوخار عام ١٩٥٩ وحتى اواخر عام ١٩٦٢ . ولقد بدأت هذه السياسة المشؤومة بقرار اتخذه القادة اليمينيون بعد اجتماع تموز عام ١٩٥٩ الكامل للجنة المركزية بحل تنظيماتنا العسكرية بذريعة اعادة التحالف مع قاسم..! وان من اهم فرسان هذا القرار اعضاء المكتب السياسي كلهم باستثناء سلام عادل وجمال الحيدري ومحمد حسين ابو العيس. اما المبادرون لهذا القرار فهم هادي هاشم الاعظمي، وبهاء الدين نوري فضلا عن الرفيق عزيز محمد.

اقتصر الاحتجاج في مدينة البصرة على الانقلاب ببعض التظاهرات المتفرقة في عدد من احياء البصرة لاسيما حي الجمهورية الشعبي، وكان التحشد الاكبر امام متصرفية او مقر محافظة البصرة الواقع في العشار. إذ احتشد بضعة مئات من المواطنين لكنهم لايعرفون ما الذي يجب عمله، وما ان ظهرت مجموعات من الانضباط العسكري تطلق النار فوق رؤوس المتظاهرين العزل، حتى تفرق الناس. ساعتها ايقنت ان الانقلابيين وطدوا اقدامهم وبدأ الناس يشعرون بمرارة الهزيمة. فقررت الالتفات الى سلامة منظماتنا الحزبية والى ضرورة اتخاذ كل الاحتياطات للانتقال الى اقصى درجات العمل السري.

وشعورا مني بالمسؤولية عن الضيوف من حزب تودة وسلامتهم، توجهت اليهم وهم في حيرة مما حدث واجبت على تساؤلاتهم بما يتناسب والوضع الجديد. وبعد ان بدأت تردنا انباء اعتقالات لبعض رفاقنا واصدقائنا، قلت لهم بصراحة ان وضعنا صعب ودقيق وقد لا نستطيع الاستمرار في توفير الحماية لهم. لذا اقترحت عليهم ترك البصرة، الى خارج العراق حتى ينجلي الموقف، فاخذوا بنصيحتي وسافر البعض منهم الى اوروبا وادخلوا رفيقين الى ايران عن طريق التسهيلات التي كنا نتمتع بها. واذكر ان احدهما وهو من النشطاء يدعى عباس، قد ذهب الى الداخل هو وعائلته.

وقدر لي ان القاه في طهران في طريق توجهي الى الاتحاد السوفيتي ومن ثم التقيته في البصرة مع عدد من قادة تودة بينهم رضا رادمنش عندما توليت مسؤولية قيادة المنطقة الجنوبية مرة ثانية عام ١٩٦٧.

بدأت الضربات تتوالى على منظماتنا واعتقل واستشهد تحت التعذيب عدد من الرفاق بينهم الشهيد عباس جبار الحداد عضو لجنة المنطقة الجنوبية الذي ما زال اعتقاله بالنسبة لي لغزا لم استطاع حله. كما اعتقل مسؤول اللجنة المحلية في البصرة جاسم المطير وعدد من اعضاء منظمة البصرة.

في هذه الاثناء اقترح علي الرفيق محمد حسن المبارك عضو مكتب المنطقة الذي كان يتمتع بشجاعة نادرة ورباطة جأش ان انتقل من داري الى دار كنا قد استأجرناها قبل الانقلاب باسبوعين واسكنا فيها مسؤولا عن المطبعة غير مسؤولها القديم الذي كنا ننوي اعفاءه من هذه المهمة.

والمسؤول الجديد هو كريم فرج بعد ان قطعنا صلته بمحلية البصرة. وكانت حجة الرفيق محمد حسن المبارك ان داري يعرفها الرفيق عبد الحسن خليفة العضو الاخر في مكتب المنطقة وهو غائب في زيارة الى منظمة العمارة فاقتنعت برأي مبارك وانتقلت انا وعائلتي الى تلك الدار. ونقلت بسيارتي المطبعة اليها. ولصعوبة اوضاعنا وعدم وجود حاجة او نية لاصدار مطبوعات جديدة، فقد اقترح الرفيق محمد حسن المبارك ان نخفي المطبعة فحفر لها تحت السلم الذي يصل الطابق الارضي بالسطح بحيث لم يترك اي معلم لها وبحيث عندما كبست الدار وتم اعتقالنا في ١٩٦٣/٣/١٩ لم يستطع قطعان الحرس القومي ان يعثروا لها على اثر رغم اعتراف مسؤول المطبعة السابق بانني انا الذي نقلت المطبعة بسيارتي. ولكني كنت انكر معرفتي بذلك حتى فوجئت وانا في غرفة التعذيب بهرج ومرج عندما دخل الحرس وهم يحملون المطبعة ويلقون بها امامي. وتفسير الامر هو ان الحرس القومي قد اعتقلوا بالصدفة رفيقا وضبطت معه كمية من البيان الذي كنت قد حررته ووزع في بداية الانقلاب فاعترف بان الذي اوصل له البيان هو كريم فرج وحين اخضعوه لجولة من التعذيب، اقر بالامر ودلهم على مكان اخفاء المطبعة.

وفي الحال جاءني ضابط الحرس القومي الجلاد احمد ابو الجبن وقد منحه الانقلابيون رتبة ملازم واصطحبني الى القاعة الرئيسية لنادي الاقتصاديين الذي حولوه الى مقر رئيسي للحرس القومي. وامام العشات من المعتقلين صار يوجه الى وجهي اللكمات ويزعق انه هو (يقصدني) الذي كتب وطبع هذا النداء "الخياني الحقير". وكان يتصور انه بالتستر على المطبعة يستطيع خداعنا ولكن يقظة الثوريين من الحراس سرعان ما كشفت بوسائلها الذكية جهاز الخيانة..!

واعادوني الى غرفة التعذيب ورموني على الارض بحراسة صبي يحمل رشاشة ستارلنك. عرفت ، مع الاسف، فيما بعد ان فلسطيني من المفترض انه يتعاطف مع كل المضطهدين امثال شعبه ولكن ما العمل وهو

مضلل صار يتسلى بشتمي حيث جاوز حدود الادب و اللياقة فبدأ يكيل لي ولعائلتي اقذع الشتائم، فما كان مني إلا ان ارد عليه بمثلها وباقذع منها. هنا لم يتمالك الصبي و"الحارس القومي" اعصابه فراح يطلق علي الرصاص من رشاشته واصابني في مناطق مختلفة من جسمي واصاب الحائط الذي اتكأت عليه ايضا والذي انطلقت منه شظايا اصابت وجهي واستقرت في اسناني. اما الاصابات البليغة فواحدة في صدري واخرى استقرت في مفصل ركبتي فضلا عن شظية كبيرة استقرت في صدغي الايسر بالقرب من الاذن اليسرى.

ذكرت لي زوجتي التي كانت قد اعتقلت معي هي وطفلتها يسار اضافة الى والدتي التي جلبت لنا بعض المال من اهل زوجتي، انها عندما سمعت اطلاق النار سألت "حارسا" يقف بالقرب من باب غرفتي فيما اذا كان هدف الاطلاق زوجها فرد عليها بالايجاب فما كان منها إلا ان قالت، هذا افضل دعه يموت ويخلص من التعذيب، وذلك قناعة منها انهم لن يستطيعوا بالتعذيب ان يحصلوا على شيء.

نقلوني الى المستشفى الجمهوري تحت الحراسة فجاءني احد الاطباء ويبدو انه تاثر لحالتي فقال هؤلاء جاءوا بك ليستعينوا بنا على ابقائك حيا.

ان الاصابات التي في جسمك ليست خطيرة سوى الرصاصة المستقرة في الركبة ساحاول اخراجها لان بقاءها قد يسبب لك مضاعفات تؤدي الى بترها. فقلت اعمل ما تراه ضروريا وعلى الفور اخذوني الى غرفة العمليات واستخرجت الرصاصة.

اعادوني في اليوم الثاني الى المعتقل ولما يئسوا مني وكنت قد اضربت عن تناول الطعام، امرهم ابو طالب عبد المطلب نائب القائد العام للحرس القومي وكانوا قد منحوه رتبة نقيب بان يجبروني على تناول الغذاء بالقوة او بزرقي ابرأ مغذية.

وابو طالب هذا هو الابن البكر للسيد عبد المطلب الهاشمي الذي كان مديرا لثانوية العمارة عام ١٩٤٨ عام الوثبة وكان من العناصر المحافظة القريبة من الحكم الملكي وكان صديقا لوالدي. حدث ان جمع الطلاب اليساريون عريضة يطالبون فيها باقصائه من الادارة ونقله الى مكان آخر، وكنت حينها اتعاطف مع حزب الاستقلاب، فما كان مني إلا ان اختطفت ورقة العريضة من احد الطلاب اليساريين ومزقتها والطالب هو محمد محمود طه وقد تحول فيما بعد الى اقرب اصدقائي.

حدث حينها ان ابا طالب وصباح المدني وهو برتبة ملازم في الحرس القومي مرا على دار السيد عبد المطلب الهاشمي ليتناولا طعام الغذاء في طريقهما الى البصر فاخبر ابو طالب اباه انهما متوجهان الى البصرة للتحقيق مع المعتقلين الشيوعيين الذين يرأسهم صالح بن مهدي دكلة. فما كان من السيد عبد المطلب وكان مريضا، إلا ان قال لهما امل ان لا تلحقا الاذى بصالح لان له فضلا علي، وكان يقصد بذلك حادثة العريضة. وهذا ما نقله الي صباح المدني متسائلا ما هو الفضل الذي اسديته الى السيد عبد المطلب الهاشمي.

لب الحديث هنا يتعلق بالكيفية التي عاملني بها هذا الابو طالب الذي لم يكن يعرف معنى العرفان بالجميل اذا افترضنا جدلا ان ذلك كان جميلا وفوق محاولته لاطعامي عنوة وفك اضرابي عن الطعام فقد سمحت له نذالته بان يستعين علي بحراسه يرمون بي ارضا ويدوس هو بحذائه القذر على وجهي. وكل ذلك عينة من قادة ٨ شباط ومدى العار الذي سيلاحقهم الى اخر ايامهم..!

في اليوم التالي نقلت بحراسة مفرزة من الحرس القومي بالقطار الى بغداد وقد شبك معي في نفس الكلبجة شاب عرفت انه ابن عبد الستار القيسي طبيب الاسنان الشيوعي وابن اخ المحامي الشيوعي عبد الوهاب القيسي الذي كان في سنوات الحكم الملكي احد نشطاء لجنة الدفاع عن حقوق السجناء والمعتقلين السياسيين التي لعبت دورا بارزا في الدفاع عن المعتقلين والسجناء السياسيين.

ومن محطة سكك حديد الكرخ نقلونا بسيارة جيب عسكرية الى مقر القيادة العامة للحرس القومي في شارع طه في الاعظمية، فادخلوني راسا على قائد الحرس القومي النقيب الطيار منذر الونداوي وقالوا له هذا صالح دكلة مسؤول الجنوب، فتقدم الي لاما قبضته اليمنى وهو يقول: الم تسمع بالاسطول الامريكي السادس كيف تحرك يستهدف ثورتنا المجيدة؟ فاجبته والله لا علم لي بذلك سوى ان ثورتكم قيدت معصمي بهذا القيد، ربما ان هذا الاسطول هو لحماية هذه لثورة.. فكان رده سريعاً بان وجه لكمة الى وجهي وصاح بحراسه، القوا به في المرافق.

وانتظرت هناك بضع ساعات قبل ان يأتي الي ملازم الحرس القومي صباح المدني ينقلني في سيارة الى قصر الرحاب الذي عرف وقتها بـ (قصر النهاية)كناية عن ان الداخل اليه اما ان يخرج منه وهو جثة هامدة او يخرج وقد اعترف بكل الاسرار الحزبية التي يعرفها عن عمل الحزب الشيوعي. وراح صباح المدني ينصحني في محاولة للتظاهر بالتعاطف معي باني سالقي عذابا شديدا لا يستحق هذا العناد لاسيما وان اكثرية الاسرار اصبحت بيد لجنة التحقيق الخاصة. ففي "القصر" العديد من اعضاء اللجنة المركزية ادلوا باعترافات كاملة امثال شريف الشيخ وعبد القادر اسماعيل فضلا عن كوادر حزبية امثال عصام القاضي وحمدي ايوب وعدنان جلميران الذين ظهروا على شاشة تلفزيون بغداد يدلون باعترافاتهم حد الاساءة الى اسرهم.!

والانكى من ذلك ان الخائن هادي هاشم الاعظمي عضو السكرتارية والمكتب السياسي هو الذي دل عصابات الحرس القومي على مكان القائد الشهيد سلام عادل وعلى عدد من الدور الحزبية كدار جورج تلو الذي قتله الحرس القومي في الدار واتهم الرفيق الشهيد عبد الرحيم الشريف بقتله.

وكذلك دار الرفيق محمد حسين ابو العيس وعدد من الدور الاخرى. وكان هادي بعد انهياره قد طلب من قيادة البعث ان يبقوا امره سراً..

ما ان تم ادخالي الى "القصر" وهو اشبه بمجزرة لذبح الغنم منه بقصر كانت تسكنه العائلة المالكة والامير عبد الاله، حتى دفعوني الى احدى غرف التعذيب وعلقوني بحبل يتدلى من سقف الغرفة من احدى رجلي وبدأوا ينهالون علي بالضرب. وسرعان ما فقدت الوعي لفرط ما تعرضت له في البصرة من تعذيب ولسوء حالتي الصحية بعد اطلاق النار علي.. فتحت عيني لاجد حولي رفاقي القدماء يقفون وهم يتناوبون الحديث.. اذكر منهم المرحوم عبد القادر اسماعيل، عصام القاضي، شريف الشيخ، حمدي ايوب، عدنان جلميران، علي حسين الرشيد، ابن عم قائد الفيلق ماهر الرشيد، سلطان ملا علي وباسم مشتاق والكل يحثني على التعقل لان الثورة ليست إلا ثورة وطنية ونحن الذين اخطانا تقدير الموقف، فلم التفت الى اي منهم سوى عبد القادر اسماعيل البستاني الرجل الاشيب موجها اليه الكلام: هل انت مقتنع بما يقال يا ابو احمد، وهي الكنية التي كنا قد اعتدنا ان نخاطبه بها، فاذا به يتلعثم وتغرورق عيناه بالدموع..!

عن كتاب (من الذاكرة.. سيرة حياة)
دار المدى 2000

تسعة واربعون عاماً على مجزرة 8 شباط

خمسة آلاف قتيل في ثلاثة ايام

اعداد: ذاكرة عراقية

لم يعد سراً منذ وقت طويل، الدور المحوري لوكالة المخابرات الاميركية (سي.اي.أي) في تنفيذ انقلاب ٨ شباط عام ١٩٦٣ الدموي، فقد اعترف احد قادته ، علي صالح السعدي في وقت مبكر بأنهم جاؤوا الى السلطة "في قطار اميركي". لكن الكثير من خفايا هذا الدور لم يعرف الا في السنوات الاخيرة ، الان وبعد (٤٧) عاماً على هذا الحدث الدامي ،

الذي ترك بصماته على مسار الحياة السياسية في بلادنا، تسلط "رسالة العراق" الضوء على هذه الحلقة الغامضة في انقلاب ٨ شباط المشؤوم وتعرض بعض ما توفر من معطيات وحقائق استناداً الى مصادر عدة.

كشف الكاتب والصحفي المعروف محمد حسنين هيكل رئيس تحرير صحيفة "الاهرام" انذاك، استناداً الى الملك حسين ان "جهاز تجسس اميركيا" كان على صلة بحزب البعث في العراق نقل الى الاخير، عبر اذاعة سرية، اسماء وعناوين الشيوعيين العراقيين كي يقوم الانقلابيون وزمر "الحرس القومي" سيئ الصيت باعتقالهم وتصفيتهم جسدياً.

ومن المؤكد ان الجهاز الذي جرت الاشارة اليه هو وكالة الـ "سي. آي.أي" وشملت تلك التصفيات ايضاً الكثير من الشيوعيين الذين كانوا لحظة وقوع الانقلاب في السجون والمعتقلات حيث احتجزوا في عهد عبد الكريم قاسم.

وقدرت مصادر الحزب الشيوعي عدد الاعضاء والمؤيدين الذين قتلوا في الايام الثلاثة الاولى من الانقلاب، اثناء تصديهم للانقلابيين أو في عمليات الملاحقة، بحوالي خمسة آلاف شخص. (المصدر "الثقافة الجديدة" العدد ١٣٨، شباط ، عام١٩٨٢، ص٧٨ -٨٢) كما اشار احد المصادر الى دور غامض ايضاً في (اطاحة قاسم) لعبته المخابرات الفرنسية – "جهاز التوثيق الخارجي لمكافحة التجسس". (مجلة "ذي ميدل ايست" – آب عام ١٩٨١، ص٣٣).

وتبين لاحقا ان المصدر الاساسي للمعلومات التي استندت عليها القائمة باسماء الشيوعيين والديمقراطيين وبثتها اذاعة سرية من الكويت، هو (وليام ماكهيل) ، عميل وكالة المخابرات المركزية الاميركية الذي كان يعمل تحت غطاء مراسل لمجلة "تايم" الاميركية وهو شقيق (دون ماكهيل) الذي كان آنذاك ضابطاً رفيع المستوى في الوكالة في واشنطن ويشار الى ان المصدر الذي كشف اسم ماكهيل وهو مراسل سابق آخر لمجلة "تايم".

حصل ماكهيل على الاسماء في بيروت من ضابط سابق في جهاز الامن العراقي في العهد الملكي كان نائباً سابقاً لبهجت العطية مدير الامن آنذاك الذي اعدم بعد ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨، وكان بعض تلك المعلومات قديماً، ويجد ذلك تفسيره في شمول عمليات القتل اشخاصاً لم يكونوا اعضاء في الحزب الشيوعي عند وقوع الانقلاب، لكن برغم ان ماكهيل قدم القائمة الاطول، فأنه لم يكن المصدر الوحيد، وكان بين المصادر الاخرى ضابط كبير في الاستخبارات المصرية، وعناصر بعثية في لبنان، ومجموعة صغيرة يقودها صدام حسين اثناء وجوده في القاهرة، اضافة الى اشخاص آخرين، ولا يستبعد ان تكون بعض اسماء الضحايا أدرج على القائمة لتصفية حسابات وثارات شخصية.

وطلبت الوكالة ثمنا في المقابل، فحسب هاني الفكيكي الذي كان احد المشاركين البارزين في الانقلاب، سلم الحكام الجدد لويلهام ليكلاند، مساعد الملحق العسكري في السفارة الاميركية في بغداد واحد ضباط وكالة "سي.آي.أي" اسلحة روسية من ضمنها طائرة "ميغ ٢١" ودبابة من طراز "تي -٥٤" وصاروخ "سام" كي تتمكن الولايات المتحدة من تقويم فاعليتها ، وكان ليكلاند موجوداً ايضاً في القاهرة عندما اطيح بالملك فاروق.

وفي نيسان (ابريل) عام ١٩٦٣ ، نقل اميركيون جواً، من تركيا وايران الى كركوك ، اسلحة اسهمت في تمكين الحكام من محاربة الشعب الكردي.

وينقل الكاتب المعروف سعيد ابوريش عن الدكتور احمد الجلبي، احد قادة "المؤتمر الوطني العراقي" حالياً، قوله ان المنافع التجارية التي جناها الاميركيون لم تكن اقل اهمية فقد منحت شركات اميركية مثل بارسونز، وبكتيل وموبيل ، وغيرها عقوداً وامتيازات.

واصبح روبرت اندرسون ، وهو وزير خزانة سابق في عهد ايزنهاور واصبح في وقت لاحق مديرا لشركة (واجهة) لـ سي آي أي تدعى انترسر تألف مجلس ادارتها من عملاء للوكالة باستثناء جاك ماكرين ، اصبح الشخص الابرز في العلاقات التجارية بين اميركا والعراق، وكان التعاون بين ويليام ليكلاند وصالح مهدي عماش وضباط اخرين من قادة الانقلاب مكشوفاً وكاملاً

أحالة فائق بطي وكمال بطي والبريفكاني الى المجلس العرفي العسكري الاول

احال الحاكم العسكري العام الاوراق التحقيقية الخاصة بالمتهمين فائق بطي وكمال بطي اصحاب جريدة البلاد الملغاة الى المجلس العرفي العسكري الاول لمحاكمتهما وفق الفقرة ـ ب ـ من المادة الثانية والمادة الثالثة من قانون معاقبة المتامرين ومفسدي نظام الحكم رقم ٩٥ لسنة ٥٩ والمادة ٣١-١٢ من قع‌ب والمواد ٥٨ و ٥٩ من قانون ضريبة الدخل بدلالة الفقرة الثانية من المادة ٢٧ وسيعين المجلس المذكور يوم مرافعة هذين المتهمين .

كما احال الحاكم العسكري الاوراق التحقيقية الخاصة بالمتهم محمد عبد الله البريفكاني صاحب جريدة التقدم الملغاة الى المجلس العرفي العسكري الاول لمحاكمته وفق الفقرة ـ ب ـ من المادة الرابعة بدلالة الفقرة ـ هـ ـ من المادة الثانية والمادة الثالثة من قانون معاقبة المتامرين على سلامة الوطن ومفسدي نظام الحكم والمادة ٣١-١٢ من

محاكمة مدير الخدمات الطبية العام السابق

احيلت الاوراق الخاصة بالمتهم احمد جعفر الجلبي مدير الخدمات الطبية العام السابق الى المجلس العرفي العسكري الاول لمحاكمته وفق الفقرة ـ ب ـ من المادة الرابعة من قانون معاقبة المتامرين على سلامة الوطن ومفسدي نظام الحكم بدلالة الفقرتين ـ و.ز ـ من المادة الثانية والمادة ٣١-١٢ من قع‌ب والمادة ٤٣ جمهيات .

اعرف من ملا

سجل المصور خميس عبد اللطيف ١٢ لقطة لوجه الزعيم عبد الكريم قاسم في أقل من ثلاث دقائق .. تفرس طويلا في وجه هذا القائد .. لتستطيع أن تصل الى مفتاح شخصيته ..

٣- انه يزن كل كلمة يقولها . انه يفكر كثيرا قبل ان يتكلم . فترة صمت تمر دائما وهو يتأمل المعنى في راسه قبل ان ينطق به

٢ - وتبدأ الابتسامة في الاختفاء تدريجيا .. ان مظاهر التفكير فيما سيقول تحتل مكانها على قسماته .

١ - انه يبتسم قبل ان يحدثك .. الابتسامة تبدأ في الارتسام على وجهه وهو يستمع الى اى سؤال منك ..

٨ - وقد يكون سؤالك ملتويا أو خبيثا أو يهدف الى غرض خفي .. وهو ، يخدع بسهولة .. ان تفكيره يبدو اعمق من لفك ودورانك .

٩ - وهو حريص على ان تاتي اجابته كما يريد .. انه يجيبك بنفس اسلوب سؤالك .. ولو استغرق طويلا في التفكير .

٧ - وقليلا ما يرتفع صوته وهو يتحدث .. انه يشرح الفكرة في هدوء وسلاسة ، ولكنه قد يضطر ان يسترسل في الكلام .. وعيناه دائما تفكران في عمق .

عبد الكريم قاسم
مع وجهه ..

٤ – ثم ينظر اليك وهو يتحدث .. انه يتحدث بلسانه وبعينيه ويعرض لك افكاره في هدوء وصوت خفيض .

٥ – وقد يحتاج الى النظر بعيدا عنك ، في وسط حديثه .. انه يبدو كأنه يرسم الكلمات في الفضاء ، قبل أن يقراها ..

٦ – وينتهي من ابداء رأيه .. وتختفي الابتسامة تماما .. وتحل محلها نظرة ثاقبة عنيفة .. انه يكشف بها عن صدى حديثه في نفسك !

١٠ – ثم يحس انه اوضح لك ما يريد بالقدر الذي يريده .. فيعود الى الحديث معك على طبيعته .. وتعود الابتسامة ..

١١ – وابتسامته تتكلم معه ايضا . انها سؤال صامت على وجهه . او استفسار يقول .. هل فهمتني .

١٢ – وهو دائما يختتم حديثه كما يبدؤه تماما – بابتسامة . انه يحييك بهذه الابتسامة بعد ان ينتهي حديثك معه .. والآن انظر الى هذه الصور من جديد ..

من أوراق الانقلاب الدموي

صالح مهدي عماش: حصدنا أربعة آلاف شيوعي!!

(وطن تشيّده الجماجم والدم تتهدم الدنيا ولا يتهّدم)

شاعر عراقي

في صباح ٨ شباط / فبراير ١٩٦٣ ، قتل جلاد الاوقاتي قائد القوة الجوية غيلة ، وكان اغتياله إشارة بدء حركة انقلابية ضد حكم قاسم ، ثم قصفت وزارة الدفاع بالطائرات في قلب بغداد ، ودارت معركة ساخنة أنهت نظام الزعيم عبد الكريم قاسم اثر انقلاب دموي قام به البعثيون ، وفي اليوم الثاني سّلم الرجل نفسه لخصومه البعثيين بعد أن دافع دفاعا مستميتا ، ولكنه استسلم لجلاديه من دون أن ينهي حياته من اجل حفظ كرامته ، واقتيد إلى دار الإذاعة ليواجه أعداءه من الانقلابيين ، وليعدم هناك بسرعة رفقة ثلاثة من اخلص معاونيه في واحد من استوديوهات الإذاعة .. لقد اعدم في الوقت الذي كانت تجري مذابح في أحياء من بغداد بين الشيوعيين والبعثيين ، ولم يتوّرع القادة الجدد أن يعرضوا على شاشة التلفزيون العراقي مشاهد من مصرع الزعيم قاسم ، وجندي يمسك خصلة شعره ويرفع رأسه ويبصق بوجهه على مرأى ملايين العراقيين وفي شهر رمضان ، إذ لم يكن هناك أي اعتبار أو حرمة لا لكونه زعيم بلاد هزم في معركته ، بل احترام لرتبته العسكرية ..

في يوم السبت ٦٣/٢/٩ استسلم قاسم والمهداوي وطه الشيخ احمد وكنعان حداد ونقلوا لمبنى الإذاعة ، حيث ضرب المهداوي ضربا مبرحا منذ لحظة نزوله وسال الدم كالنافورة من رأسه وعندما طلب الرحمة قيل له اطلبها من الطبقجلي ورفاقه الذين أعدمتهم في ساحة أم الطبول، وحاول أن يلقي بكامل المسؤولية على قاسم ، وهو القائل إبان محاكماته الشهيرة: «أنا بسمة من بسمات قاسم، أنا نسمة من نسمات قاسم»، وقد صدر حكم سريع بإعدام الجميع وقد نفذ الحكم على كراسي الموسيقيين .. ونقلت مشاهد الإعدام على التلفزيون بالأبيض والأسود !

كان المجتمع قد زاد انقسامه أيضا بين أناس بكت الزعيم بكاء مرا ، ولم يزل العراقيون يحملون أجمل ذكرى عنه ، ولكن ثمة عراقيين آخرين ، رقصوا مع أغاني التلفزيون المبتهجة بـ (موت الزعيم الهمشري) ، وكنت صبيا لا افقه معنى تلك الكلمة التي تثير التقزز ! كنت اسمع إذاعة صوت العرب ، وهي تتشفّى بنهاية زعيم العراق الذي اسماه عبد الناصر في خطبه بقاسم العراق !! .. مع حدوث مجازر على مدى أيام من قبل البعثيين ضد كل من الشيوعيين والقاسميين ، وحفلات تعذيب مرعبة بحق قياديين ومسؤولين حزبيين ، أمثال : سلام عادل وعبد الجبار وهبي وعدد كبير من الشيوعيين الذين قتلوا ، إذ يذكر صالح مهدي عماش للرئيس عبد الناصر إن البعثيين حصدوا أربعة آلاف شيوعي .. وهناك من حشر في قطارسموه بـ" قطار الموت " إلى سجن نقرة السلمان الصحراوي وكانت رحلة عذاب ونهايات مريرة لم نشهد مثلها في أي بلد مجاور ! .

ومثلما سمعنا السيدة أم كلثوم تغني مباركة ١٤ تموز / يوليو ١٩٥٨ (بغداد يا قلعة الأسود) .. غنّت مباركة ٨ شباط / فبراير ١٩٦٣ (ثوار ثوار لآخر مدى) !!

السؤال : إن الكل يفرح ويغّرد في الشوارع والساحات مع أناس تبكي خفية بين جدران بيوتاتها .. ولا احد يسأل سؤالا واحدا : لماذا يقتل زعماء العراق ويهانوا بطريقة لا يقبلها أي عقل .. ؟؟ وأسأل سؤالا آخر : لماذا يفرح العرب لمصرع زعماء عراقيين ولماذا يحزنوا على زعماء آخرين ؟ لماذا حزنوا على موت فيصل الأول ، ولماذا فرحوا بمصرع فيصل الثاني ؟ لماذا فرحوا بإعدام عبد الكريم قاسم ولماذا حزنوا على شنق صدام حسين ؟ ما سر هذا التناقض الذي يميّز بين هذا أو ذاك وكل من هذا وذاك له نهاية واحدة هي الموت بأبشع الوسائل ! وبين هذا وذاك لماذا لم تقم الدنيا وتقعد بتقطيع أجساد زعماء عراقيين ، أو رفض اهانتهم عند نهاياتهم المريرة ؟ لماذا لا احد يذكر كيف مات عبد السلام عارف أو احمد حسن البكر ؟

القيادات العارفية : نهايات بشعة

في ١٨ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٦٣ ، لم تسفك دماء البعثيين على يد المشير الركن عبد السلام عارف الذي انقلب عليهم بعد أن شاركهم انقلابهم ضد قاسم .. وكانوا وراء تنصيبه رئيسا للجمهورية العراقية ولأول مرة بلا أية انتخابات تشريعية ، ولكنه عفا عنهم بانقلابه .. ويقال أن الرجل لم يعدم أحدا إعداما سياسيا طوال حكمه .. ولكن نهايته كانت مفجعة أيضا ، إذ احترق بطائرة الهليوكبتر اثر حادث لم يزل غامضا في كل تفاصيله الدقيقة والمريبة ، وتشير أصابع الاتهام لأكثر من طرف كانت له مصلحة في وضع نهاية له .. ولقد شاهدت بنفسي شباب العراق من طلبة وطالبات جامعة بغداد وقد اصطفوا يودعونه وهم يبكون نهايته المتفحمة ، اذ كانت نهاية تراجيدية، وكالعادة كان هناك من حزن لرحيله ، وهناك من صفق لمصرعه وراح يعدّ العدة للاستيلاء على السلطة من هذا الطرف أو ذاك .. ولقد تواصل عهده بعهد أخيه الذي اختير من بعده رئيسا ، ولأول مرة يرث الأخ حكم أخيه في العراق الجمهوري ! وبالرغم من حدوث أكثر من محاولة انقلاب إلا أن العارفيين الاثنين لم يعدما من تآمر على حكمهما ! وإذا كانت نهاية حكم عبد الرحمن عارف سليمة ، إذ لم يقتل أو يعدم ، بل نفي إلى تركيا على يد الانقلابيين البعثيين في ١٧ تموز / يوليو ١٩٦٨ (توفي في الأردن ٢٤ أغسطس ٢٠٠٧) ، إلا أن أركان الحكم العارفي قد نالتهم التصفيات البشعة ، إذ عّذب الدكتور عبد الرحمن البزاز رئيس الوزراء السابق عذابا شنيعا ، وسلخ جلد شامل السامرائي وزير الوحدة السابق ، واحرق بطيئا عبد العزيز العقيلي على مدفئة وكان وزير دفاع سابقا ، ، وقطعّت أعضاء رشيد مصلح التكريتي الحاكم العسكري السابق ، وعذب عذابا شديدا ، وعّذب طاهر يحيى التكريتي رئيس الوزراء السابق ..عذابا لا يرحم ، وفعل بالعشرات من غيرهم من دون أن يذكرهم أحد .

إعدام اليهود : قافلة الموت الزؤام

وفي عهد الرئيس البكر قتل واعدم العشرات ، بل المئات بشتى أنواع القتل الشنيع سواء بالإعدامات الجماعية ، أو مجازر قصر النهاية ، أو عذابات مديرية الأمن العامة .. وقتل العديد من المشاركين في السلطة الجديدة بدءا بناصر الحاني وعبد الكريم الشيخلي وحردان التكريتي وعبد الرزاق النايف ومدحت الحاج سري وشيوخ عشائر

سلام عادل

العقيد عبد الكريم الجدة
والعميد الطيار جلال الأوقاتي

واعيان مجتمع ومئات لا يحصى عددهم .. انتقالا إلى من كان يتهم بمؤامرات قلب نظام الحكم أو الذين اتهموا جواسيس وعملاء وخونة وصولا إلى ناظم كزار مدير الأمن العام الذي كان يتصف بشروره وقتله أعدادا لا تحصى من العراقيين وما سمي بمؤامرته التي قتل فيها حماد شهاب وزير الدفاع .. ويأتي مصرع ناظم كزار (الذي قتل ببشاعة بنفخ جسمه وهو حي) وكان له تاريخ سيئ جدا .. وكانت هناك تصفيات بدس السم من اجل القتل البطيء ، وكان ممن ناله ذلك شاذل طاقة وزير الخارجية وعشرات غيره .. وكانت نهاية الرئيس احمد حسن البكر غامضة هي الأخرى بعد مقتل ولديه أيضا ، وصولا إلى اعتلاء النائب صدام حسين سدة الرئاسة في العام ١٩٧٩ ، وافتتح عهده بمصرع الذين اتهمهم بالتآمر على الحزب والثورة من ابرز القياديين العراقيين ، وأشهرهم : عبد الخالق السامرائي ، وعدنان حسين، ومحمد عايش ، وغانم عبد الجليل ، وعبد الحسين مشهدي وغيرهم .. وسجل عهده نهايات لعدد من ابرز المسؤولين، مثل : مرتضى سعيد عبد الباقي ، ورياض حسين ، وفاضل البراك وصولا إلى عدنان خير الله (الذي قتل بحادث طائرة غامض) وزوجي ابنتيه حسين كامل وأخيه وغيرهم كثير .

ولقد أعدم العشرات من الضباط العراقيين بتهمة التخاذل والجبن في الحرب العراقية الإيرانية .. كما اعدم عدد كبير من التجار بتهمة تهريب العملة .. وقتل العديد من أركان المعارضة السياسية ، وكان في مقدمتهم السيد محمد باقر الصدر وأخته نور الهدى وعدد كبير من أعضاء حزب الدعوة .. ناهيكم عن مصرع العديد من الشخصيات العراقية خارج العراق ، أمثال الشيخ طالب السهيل .. واعدم الدكتور راجي التكريتي بعد إرجاعه إلى العراق بطريقة بشعة ! وهناك العشرات من الشخصيات المهمة سياسيا وعسكريا واجتماعيا لاقوا حتفهم بأساليب مختلفة شنقا ورميا بالرصاص واغتيالا .. وتعذيبا وتسميما .. الخ أما التصفيات والإعدامات الجماعية التي واجهها العراقيون إبان الحروب في الشمال أو الجنوب ، أو في السجون والمعتقلات .. فهي كثيرة لا تحصى أبدا . وكان العراقيون وما زالوا يعانون من آثارها وتداعياتها الصعبة .

المعنى التاريخي

لقد انتهى صدام حسين نفسه بعد أن سقط نظامه من قبل جيوش الاحتلال الأميركية في ٩ نيسان / ابريل ٢٠٠٣ .. وقبض عليه بعد أشهر ، وحوكم على امتداد سنة كاملة ، ونفذ فيه حكم الإعدام شنقا حتى الموت .. لتشكل نهايته ضجة كبرى إذ انه شنق فجر يوم عيد الأضحى.. ومثلما انقسم العراقيون عند نهايات من سبقه من الزعماء ، فلقد انقسموا اليوم إزاء نهايته .. وإذا كان الإخوة العرب قد فرحوا ورقصوا لدى سماعهم بإعدام عبد الكريم قاسم في ١٥ رمضان (٩ فبراير ١٩٦٣) من إذاعة صوت العرب ، فإنهم بكوا صدام حسين في أول أيام عيد الأضحى .. إنهم يسجلون استعراضا إعلاميا من دون أن يدرك كل من العراقيين والعرب مغزى هكذا نهايات ! ولماذا ينتهي زعماء العراق واغلب قياديه ومسؤوليه نهايات مفرقة تقع دوما بين الشماتة وبين التقدير ؟؟ وهل يتعظ من تاريخ تلك النهايات الصعبة كل من سيحكم العراق لاحقا ؟ هل يفهمون المعنى التاريخي لنهايات تاريخية كتلك التي سجلها عبد الكريم قاسم وهو يتلقى الرصاص رافضا أن يعصب عيونه أو تلك التي سجلها صدام حسين وهو يهوي معلقا بحبل المشنقة رافضا وضع أي كيس يغطي به رأسه ؟؟

ست سنوات من الفوضى والنهايات الدموية

إن العراقيين ما زالوا يعيشون هذه " الظاهرة " حتى هذه اللحظة ، وإذا كانت حياة الفوضى قد استشرت في كل مكان ، وأصبح الموت لعبة أطفال .. إننا على امتداد أكثر من ست سنوات ومنذ العام ٢٠٠٣ ، أصبح المجتمع العراقي كله رهين حالة الرعب والموت لكثرة من قتل ، أو غيّب ، أو اضطهد ، أو فجّر ، أو اغتيل .. زعماء العراق اليوم لا يمكنهم أبدا الخروج من منطقة خضراء تحميهم من قتل مؤكد ! لقد انتقل العراقيون من حالة دكتاتورية مخيفة إلى حالة فوضى مرعبة ! لقد خسر العراق طوال هذه السنوات الأخيرة العدد الكبير من أبنائه ظلما وعدوانا . فهل سيهدأ البلد يوما بعد كل هذا الصراع .. وقد تفاقمت الأحقاد ، وتنامت الكراهية في المجتمع مع ضعف تركيبته الآن. لقد رحل وبأساليب مثيرة ودراماتيكية خلال السنوات التي أعقبت السقوط العام ٢٠٠٣ ، كل من السيد عبد المجيد الخوئي والسيد محمد باقر الحكيم وعضوي مجلس الحكم عقيلة الهاشمي وعزالدين سليم .. ونالت التصفيات المئات من الساسة والأساتذة الجامعيين والعلماء والضباط والطيارين ورجالات الأعمال .. وصولا إلى أعداد لا تحصى من المواطنين العراقيين .

إن التاريخ مدرسة رائعة لمن يدرك معاني الأحداث والوقائع ويتعلم منها .. إن تاريخ العراق لابد أن يدركه كل العراقيين ، ويغيروا ما بأنفسهم ويؤمنوا بالحياة المدنية ، ويتخلصوا من انقساماتهم ، فالوطن لابد أن يتقدم على كل الانتماءات .. على العراقيين أن يتوحدوا بدل انقساماتهم التي تصنع زعماء لا يعرفون الرحمة فالزعماء لا تقوى على البطش إلا عندما تجد بيئة مساعدة على البطش والتنكيل .. كنت أشارك احد أصدقائي العراقيين قبل سقوط العراق وقبل انهيار نظام حكم صدام حسين أن تبدأ صفحة جديدة يتوّحد فيها العراقيون من اجل تحقيق أهدافهم الأساسية بتحرر العراق وبنائه من جديد على أسس وركائز قوية بعيدا عن الكراهية والأحقاد والتشظي.

وأخيرا : من أجل نهايات عراقية بلا تصفيات !

وأحب القول بأن المشهد لا يفترق بين حفل زعيم عراقي قتل بالرصاص ، وخصومه تنظر اليه لتشفي غليلها وبين حفل زعيم عراقي اعدم شنقا بعد أكثر من أربعين سنة وخصومه تنظر إليه لتشفي غليلها .. فما الذي كان ؟ وما الذي سيكون ؟ وأتمنى أن لا يكون هذا المقال مؤججا للمشاعر ، بل لإثارة درس واضح المعالم ، لما يمكن للعراقيين التعلّم منه . إننا نسمع اليوم بثارات العراقيين ، والتهديد بما سيفعلونه ، وما يتوّعد كل طرف الطرف الآخر ، وكل المعارضين إزاء المسؤولين ، وكل حزب إزاء خصمه .. وكل متعّصب إزاء الآخرين .. وكل الحمقى إزاء الجميع ..

وأخشى أن تبقى هذه " الظاهرة " المقيتة سارية ، وهي تنتج النهايات المفجعة ، وان تتحّول إلى محنة لكل العراقيين . إن الوعي بهذه الظاهرة لدى كل العراقيين أولا ، وتغيير سياسات العراق الاجتماعية جذريا ثانيا ، وتربية الأجيال العراقية القادمة تربية مسالمة ومختلفة ثالثا ، كلها أساليب كفيلة للتقليل من جحيم النهايات المريرة عند العراقيين .. أنها واحدة من نهايات كانت وستبقى لزعماء العراق ، وقد تنوعت الأسباب والموت واحد ، ولكن.. هل سيولد عراق جميلا بلا تصفيات ؟ ومتى سيزول هذا " المصطلح " العراقي المشؤوم .. مصطلح التصفيات.

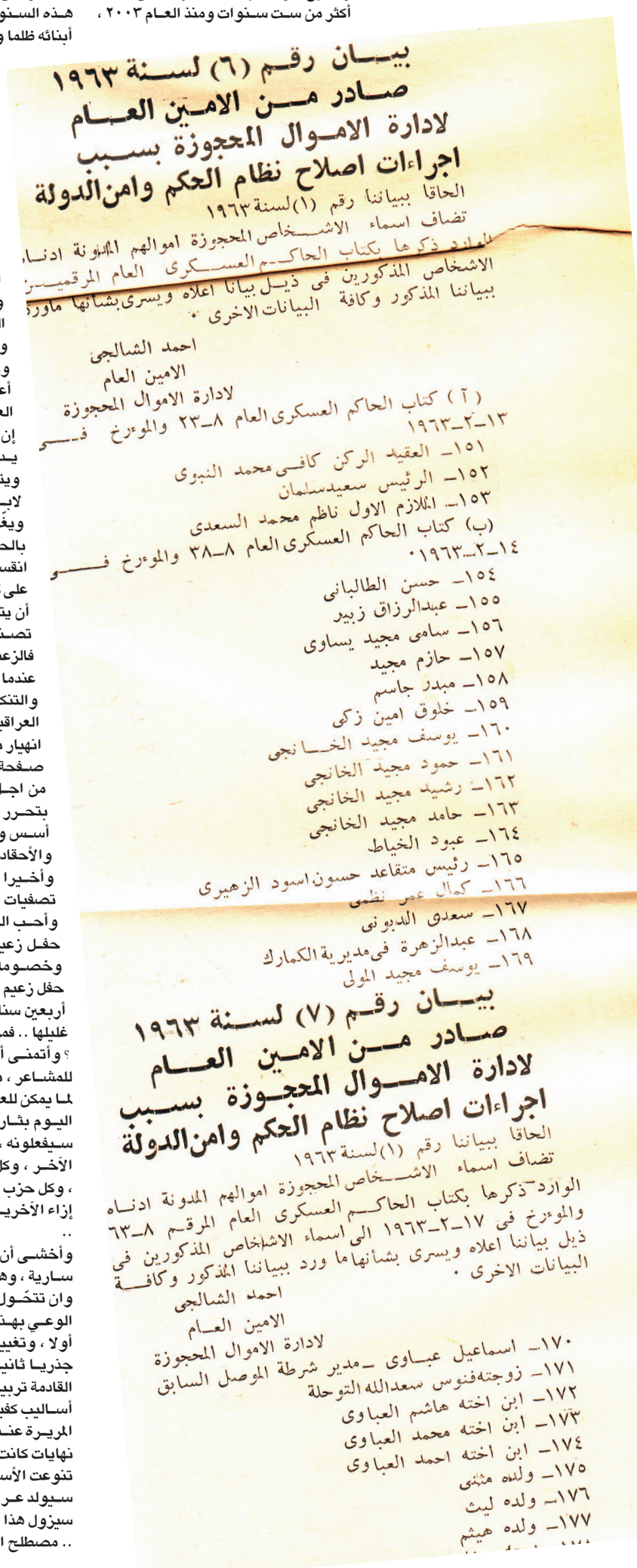

بيان رقم (٦) لسنة ١٩٦٣
صادر من الامين العام
لادارة الاموال المحجوزة بسبب
اجراءات اصلاح نظام الحكم وامن الدولة

الحاقا ببياننا رقم (١) لسنة ١٩٦٣
تضاف اسماء الاشخاص المحجوزة اموالهم المدونة ادناه الى الوارد ذكرها بكتاب الحاكم العسكري العام المرقمين
الاشخاص المذكورين في ذيل بيانا اعلاه ويسرى بشانها ماورد ببياننا المذكور وكافة البيانات الاخرى .

احمد الشالجي
الامين العام
لادارة الاموال المحجوزة

(آ) كتاب الحاكم العسكري العام ٨-٢٣ والموءرخ في ١٣-٢-١٩٦٣
١٥١- العقيد الركن كافي محمد النبوي
١٥٢- الرئيس سعيد سلمان
١٥٣- الملازم الاول ناظم محمد السعدي
(ب) كتاب الحاكم العسكري العام ٨-٣٨ والموءرخ في ١٤-٢-١٩٦٣
١٥٤- حسن الطالباني
١٥٥- عبدالرزاق زبير
١٥٦- سامي مجيد يساوي
١٥٧- حازم مجيد
١٥٨- مبدر جاسم
١٥٩- خلوق امين زكي
١٦٠- يوسف مجيد الخانجي
١٦١- حمود مجيد الخانجي
١٦٢- رشيد مجيد الخانجي
١٦٣- حامد مجيد الخانجي
١٦٤- عبود الخياط
١٦٥- رئيس متقاعد حسون اسود الزهيري
١٦٦- كمال عمر نظمي
١٦٧- سعدي الدبوني
١٦٨- عبدالزهرة في مديرية الكمارك
١٦٩- يوسف مجيد المولى

بيان رقم (٧) لسنة ١٩٦٣
صادر من الامين العام
لادارة الاموال المحجوزة بسبب
اجراءات اصلاح نظام الحكم وامن الدولة

الحاقا ببياننا رقم (١) لسنة ١٩٦٣
تضاف اسماء الاشخاص المحجوزة اموالهم المدونة ادناه الى الوارد ذكرها بكتاب الحاكم العسكري العام المرقم ٨-٦٣
والموءرخ في ١٧-٢-١٩٦٣ الى اسماء الاشخاص المذكورين في ذيل بيانا اعلاه ويسرى بشأنها ما ورد ببياننا المذكور وكافة البيانات الاخرى .

احمد الشالجي
الامين العام
لادارة الاموال المحجوزة

١٧٠- اسماعيل عباوي - مدير شرطة الموصل السابق
١٧١- زوجته فنوس سعدالله التوحلة
١٧٢- ابن اخته هاشم العباوي
١٧٣- ابن اخته محمد العباوي
١٧٤- ابن اخته احمد العباوي
١٧٥- ولده مثنى
١٧٦- ولده ليث
١٧٧- ولده هيثم

ضحايا انقلاب 8 شباط 1963
عراقيون وطنيون يجب إعادة الاعتبار لهم

عادل حبه

بُعيد ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨، أصدرت حكومة الثورة قراراً بإلغاء الأحكام التي صدرت عام ١٩٤٩ ضد قادة الحزب الشيوعي، وأعادت الاعتبار السياسي لهم باعتبارهم وطنيين عراقيين استشهدوا من أجل رفعة البلاد واستقلالها وسيادتها، وليسوا مجرمين توّجب شنقهم في ساحات بغداد، كما نصت قرارات محكمة النعساني الملكية القراقوشية السيئة الصيت آنذاك. وقد سبق لسلطة ١٤ تموز الوطنية أن ألغت العديد من القرارات التي أدانت الوطنيين العراقيين وأطلقت سراحهم من السجون، كما ألغت قرارات إسقاط الجنسية أو الإبعاد خارج البلاد، إضافة إلى إلغاء أحكام الموت بالعديد من الوطنيين العراقيين إبّان العهد الملكي، واعتبرتهم رموزا وطنية في تاريخ العراق.

شهداء الانقلاب المشؤوم

لقد توقّع الكثيرون من محبي هذا البلد العريق أن تعمد السلطات التي توالت على حكم البلاد بعد انهيار الطغيان إلى إعادة الاعتبار لآلاف من ضحايا حزب البعث منذ أول كارثة أحلّها في العراق في شباط عام ١٩٦٣، والتي أطلق عليها البعث صفة "عروسة الثورات"، ولحين انهياره في نيسان عام ٢٠٠٣. ولكن ما شهدناه هو أن الأحزاب المتنفذة وحكوماتها انهمكت في كيفية استقبال البعثيين في صفوفها ومعالجة وضع البعثيين في الأجهزة العراقية و"إنصافهم" والتفتيش عن رواتب التقاعد لهم وتحويلها إلى حيث يمكثون في دول الجوار، أو الاقتصار على معالجة ضحايا من لون واحد فقط. أما باكورة ضحايا حزب البعث في نكبة ٨ شباط عام ١٩٦٣ وضحايا مؤامرة الموصل وغيرها من ضحايا البعث فقد جرى إسدال الستار عليها و"لفلفتها" بشكل يثير التساؤل.

شهداء لهم المجد

تغيير في المشروع الذي قدمه مجلس الوزراء أخيراً إلى البرلمان والذي حظي بموافقة مجلس شورى الدولة حيث حذفت فقرة ضحايا نكبة ٨ شباط الأسود ضمن من تضرر من الأنظمة السابقة. ولكن حذفت اللجنة البرلمانية المشكّلة من "نواب الشعب" الفقرة الخاصة بضحايا ٨ شباط بشكل متعمد. ويبدو أن بعض هؤلاء النواب ربما كانوا شركاء في الجريمة وما زالوا يحنّون إلى ذلك اليوم، وهو الذي شكّل أسوأ مفصل من مفاصل الارتداد في تاريخ العراق الحديث.

وبذلك أدى هذا الحذف إلى الإبقاء على كل الاتهامات الباطلة والأحكام التعسفية ضد من ضحوا بحياتهم وبمستقبلهم من أجل الدفاع عن المكتسبات الوطنية البارزة لثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨ من ناحية، ومن ناحية أخرى حُرم الآلاف منهم من إعادة الاعتبار وأنصافهم جراء ذلك الجور البشع الذي تعرضوا له في تلك المحنة الوطنية. فلم يعد خافياً على أحد إن الانقلابيين اعتقلوا وسجنوا ما يزيد على ١٤٠ ألف مواطن في تلك النكبة. وكان في مقدمة هذه الضحايا ممثلو قوى التنوير والحداثة في المجتمع، متمثلة في علماء بارزين، كالعالم عبد الجبار عبد الله رئيس جامعة بغداد والدكتور في الاقتصاد إبراهيم كبه، وأساتذة جامعيين مرموقين وفنانين وشعراء وأدباء وضباط لامعين وجنود وأطباء ومهندسين ومحامين وطلبة وعمال وفلاحين وجمهرة واسعة من النساء العراقيات، حيث كان من أول قرارات الانقلابيين موجهة ضد المرأة العراقية عبر إلغاء قانون الأحوال الشخصية الذي سنته حكومة الثورة. إن كل هؤلاء الضحايا يمثلون النخبة في المجتمع العراقي ومحرك الوعي والثقافة والتنوير فيه.

لقد كُدّس هؤلاء في الملاعب الرياضية والنوادي ومعسكرات الجيش بعد أن ضاقت بهم السجون لكثرتهم، إضافة إلى الإعدام العشوائي والقتل العام وأحكام الإعدام لمحاكمهم القراقوشية والممارسات المشينة اللاأخلاقية ضد السجينات، وممارسات مهينة طالت الآلاف من خيرة أبناء الشعب العراقي في سابقة لم يشهدها العراق قبلئذ حتى في ظل نظام القوازيق العثماني.

وارتعب الانقلابيين من جثث ضحاياهم بحيث أزالوا أي شاخص على قبور ضحاياهم، فمنهم من رُمي في أنهر العراق أو دُفن سراً أو أذيب في التيزاب، شأنهم في ذلك شأن أخلافهم من "مبتكري" القبور الجماعية والقنابل الكيمياوية وإبادة الوطنيين والمعارضين بسموم الثاليوم بعد تسلطهم على السلطة في عام ١٩٦٨.

ولعل من أبرز مظاهر الردة في ٨ شباط عام ١٩٦٣ هو تصدّر الأميون مهمة إدارة الدولة في كل مفاصلها، وتحوّل الدولة العراقية إلى دولة بوليسية بل وجمهورية للرعب. فقبل هذه الردة كان تسلم المسؤولية بشكل عام يعتمد على الكفاءة وليس "العضلات"، حيث استوزر الاقتصادي محمد حديد لوزارة المالية و د. إبراهيم كبه لوزارة الاقتصاد و د. طلعت الشيباني للتخطيط و د. نزيهة الدليمي للبلديات. ولكن بعد الردة أوكلت المسؤولية للأميين ورجال العنف الذين لم يمر إلاّ أيام على انقلابهم حتى بدأوا "يتحاورون" بالمدافع والطيارات والقذائف لينهار حكمهم بعد حين، وليكشف حليفهم عبد السلام عارف جزءاً من جرائمهم في "الكتاب الأسود". ولكن ما أن رجعوا من جديد إلى السلطة في عام ١٩٦٨ حتى تسلم المسؤولية أميون جدد لا يتمتعون حتى بشهادة الابتدائية. فصار طه الجزراوي وزيراً للصناعة وعزة الدوري رئيساً للمجلس الزراعي الأعلى وعلي حسن المجيد وزيراً للدفاع والحبل على الجرار، وهو ما ينطبق عليهم قول شاعرنا النابغة الجواهري في سخريته من أصحاب "العضلات":

شُسْعٌ لنعلك كل موهبةٍ وفداء زندك كل مَوهوبِ

إن هذه الأميّة في تسلم المسؤولية تحوّلت إلى ممارسة ما زالت تنخر في جسد الدولة العراقية. فبعد التغيير الأخير، تدافع الأمّيون من كل الأصناف وبلباس جديد للسطو على مقاليد الأمور، فتسلم وزارة الثقافة على هدى المحاصصة المشينة من كان يدير عصابات للقتل والغدر والذي هرب إلى الخارج بعد افتضاح أمره. وتقدم الآن حوالي ١٠٠ شخص للمشاركة في الانتخابات القادمة بين من زوّر شهادات لا يستحقها، أو من ظهر أنه في عداد المحكومين بجناية.

لقد كانت مأساة ٨ شباط التمرين الأول لأشد مظاهر العنف والتوحش والتخلف، وهي تصنف في إطار الإبادة الجماعية التي يعاقب عليها دولياً، إنها بداية تسلط الفئات الأكثر تخلفاً والفئات الهامشية في المجتمع العراقي والتي أحدثت ردة شاملة في القيم والأخلاق ومقدمة لبلاء أنكى وأشد نزل على رؤوس العراقيين بعد أن سطا البعثيون من جديد على الحكم في عام ١٩٦٨، وما شهده العراقيون من آثام وشرور حتى سقوط النظام، بل وإلى الآن. ولذا يتطلب من جميع القوى السياسية العراقية والسلطات العراقية التنفيذية والتشريعية والقضائية أن تدقق في ما أفرزته وفرضته هذه الردة من أحكام وقيم وممارسات و"ثقافة" وانفلات في العنف وانعدام القانون كبداية لمسح هذا العار الذي لحق ببلدنا، وكنسه من وعي المواطن العراقي. هذا العار الذي ما زال العراقيون يشهدون آثاره إلى الآن وحتى بعد سقوط الطغيان في نيسان عام ٢٠٠٣. فما زال يجول في عقول بعض السياسيين العراقيين وحتى في وسط من المجتمع العراقي هذه العقلية المدمرة، ويلجأوا إلى أساليب تلك الردة لتحقيق مآرب سياسية وغير سياسية باعتبارها الوسيلة الأمضى والأسهل لفرض الاستبداد على العراقيين من جديد. فمازال البعض يحن إلى أسلوب إفراغ مناطق في المدن وحتى مدن بكاملها على شكل "مستوطنات بعثية" وتغيير في البناء الديموغرافي وبقوة السلاح ضد كل من يخالفه في الرأي، تماماً كما حدث في الأعظمية وغير الأعظمية في بغداد أو في مدن الموصل وغير الموصل بعد ثورة ١٤ تموز. هذا الأسلوب الذي أعيد العمل به في أوّج تصاعد العنف والإرهاب في العراق بعد الإطاحة بحكم البعث عام ٢٠٠٣. كما استعاد أخلاف البعث وحلفائهم الجدد ومن تتلمذ على أيديهم من التيارات الدينية المتعصبة نفس أسلوب الاغتيالات لخيرة نخب الشعب العراقي من مثقفين وأطباء وضباط جيش ونساء، والتمثيل بجثثهم ودق أعناقهم ورميهم في الشوارع لغرض إثارة الرعب بين العراقيين. ويروي العقيد محمد عمران، العضو السوري في القيادة القومية للبعث، أثناء المؤتمر القطري السوري الاستثنائي في عام ١٩٦٤ أنه: "بعد المؤامرة الشيوعية طلب من أحد ضباط الجيش العراقي إعدام أثني عشر شيوعياً ولكنه أعلن أمام عدد كبير من الحاضرين من أنه لن يتحرك إلاّ لإعدام خمسمائة شيوعي ولن يزعج نفسه من أجل أثني عشر فقط"×.

لقد مهدت لردة شباط سلسلة من حملات الدعاية المريبة والأكاذيب والتزييف والترهات التي روّجت لها أجهزة الدعاية والتهريج في دول عربية معروفة ودول خارجية تارة باسم الدين أو المذهب أو الطائفة، وتارة أخرى في إدعاء حرق القرآن والمس بالقيم الدينية وإلصاقها بالشيوعيين والديمقراطيين العراقيين والتأليب عليهم وإصدار الفتاوى بهدر دمهم، وهي خير أمثلة على الأساليب والبدع المخابراتية التي مورست من أجل تنفيذ هذه الردة البشعة. وشهد ويشهد العراق نفس الأساليب وبيد أخلاف ردة شباط وحلفائهم الإرهابيين الجدد بعد الإطاحة بالديكتاتورية تارة تحت ستار الطائفية الممجوجة أو تحت واجهات كاذبة ومزيفة باسم "مقاومة" لا تذبح وتقطع إلاّ رؤوس العراقيين. هذا التراث البغيض هو الآخر وجد من يطبل له ويمده بأسباب القوة والمال والانتحاريين في دول الجوار الإقليمي وغير الإقليمي والذي يهدف في الأساس إلى منع العراقيين من تحقيق خيارهم الوطني السلمي والديمقراطي.

إن إصدار قرار من السلطات العراقية الثلاث بإدانة جريمة ٨ شباط وإعادة الاعتبار لضحاياها لا يعني فقط إحقاق العدالة ورفع الحيف فحسب، بل هو إجراء ضروري لتطويق "ثقافة" القتل والغدر والهدم والنهب التي استشرت في المجتمع العراقي بعد تلك الكارثة ومازالت ذيولها تطحن بالعراقيين وتعيق الاستقرار والبناء السلمي الديمقراطي في العراق. فوجود من يدافع عن البعث وجرائمه إلى الآن وفي أعلى سلطة تشريعية في البلاد لدليل على ضرورة معالجة شاملة لظاهرة سفك الدماء والانقلابات الدموية التي كان "بطلها" حزب البعث خلال كل تاريخه. وتبقى العدالة العراقية مخدوشة .

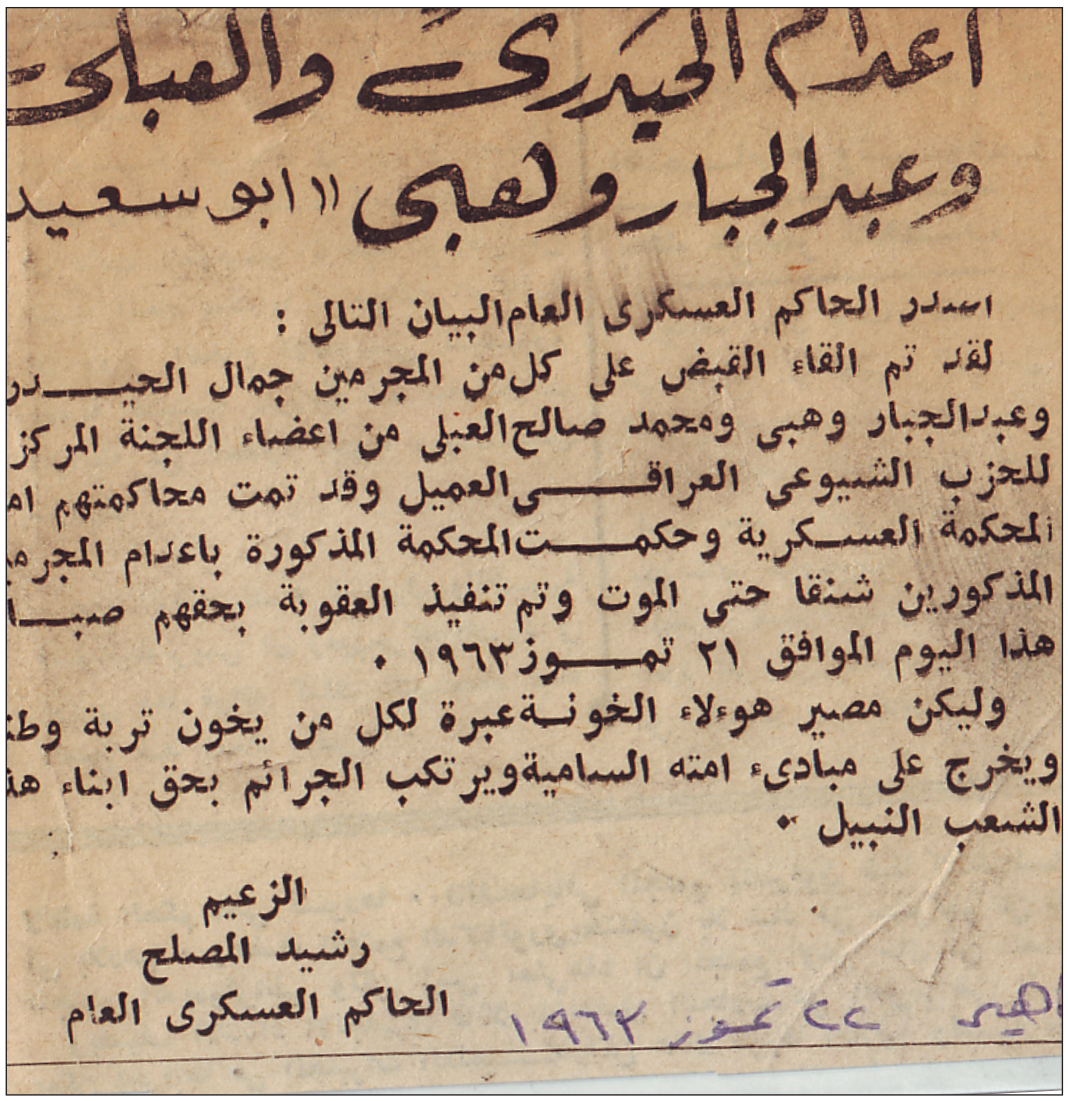
اعدام الحيدري والهلي
وعبدالجبار ولهبي !! ابو سعيد
اصدر الحاكم العسكري العام البيان التالي :
لقد تم القاء القبض على كل من المجرمين جمال الحيدر
وعبدالجبار وهبي ومحمد صالح العبلي من اعضاء اللجنة المركز
للحزب الشيوعي العراقي العميل وقد تمت محاكمتهم ام
المحكمة العسكرية وحكمت المحكمة المذكورة باعدام المجرم
المذكورين شنقا حتى الموت وتم تنفيذ العقوبة بحقهم صبا
هذا اليوم الموافق ٢١ تموز ١٩٦٣ .
وليكن مصير هؤلاء الخونة عبرة لكل من يخون تربة وط
ويخرج على مبادىء امته السامية ويرتكب الجرائم بحق ابناء هذ
الشعب النبيل .
الزعيم
رشيد المصلح
الحاكم العسكري العام
١٩٦٢ تموز

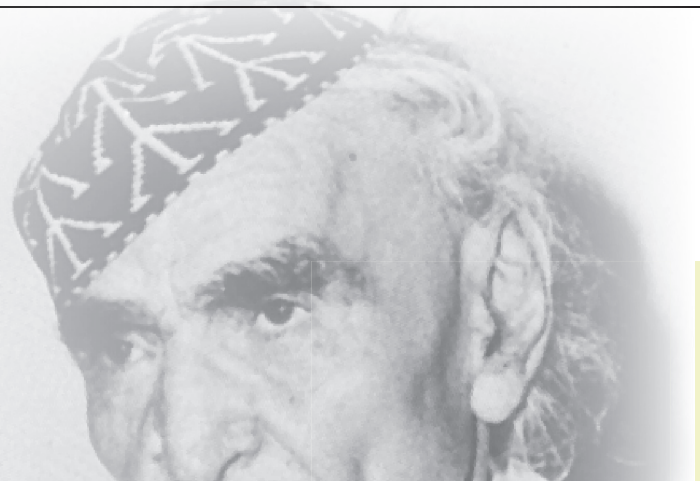

أمين لا تغضب

لشاعر العرب الأكبر
محمد مهدي الجواهري

القصيدة التي القاها الجواهري عقب انقلاب 8 شباط الدموي

أمينُ لا تغضبْ فيومُ الطَّغَامْ
آتٍ وأنفُ شامتٍ للرَّغامْ

أمينُ لا تغضبْ وإنْ هُتِكَ الـ
ـسِّترُ وديستْ حُرُماتُ الذِّمام

وإنْ غدا العيد وأفراحُهُ
مآتماً في كل بيتٍ تُقامْ

عند البطون الطاهرات التي
مَا إنْ بها عَن كل خيرٍ عُقام

مدَّخرٌ للخائضينَ الوَغى
العام تلو العام، جيشٌ لَهَامْ

أمينُ لا تغضبْ فإنَّ الحمى
يمنعُهُ فتيانُهُ أنْ يُضامْ

خمسونَ عاماً وقتيلُ الكفاح
يشيبُ منه الطفلُ قبل الغلام

خضناهُ جبّارينَ في سوحه
أهونُ ما نلقاهَ موتٌ زُؤامْ

أمينُ كم من مَثَلٍ سائر
يضربُهُ الشعبُ عليه السلامْ

يا دارةَ المجد ودارَ السلامْ
بغداد يا عِقْداً فريدَ النظامْ

يا أمَّ نهرَيْن استفاضا دماً
ونَعمةً من عهدِ سامٍ وحامْ

من عهدِ سنحاريب إذْ نينوى
يتوّج الحكمةَ منها النظامْ

وعهد حامُوراب إذْ بابلٌ
لَلكون في الأحكام منها احتكامْ

شعارُها الشمس وعنوانُها
سنابل القمح، وعدلٌ يُقامْ

وبابلٌ تضمُّ كل اللُّغى
وسحرُها يجذبُ كلَّ الأنامْ

وعهدِ هرون وَفي حكمه
غمامةٌ تصوبُ كل الأنام

إذ شهرزادٌ عن حقيق المُنى
تقصُّ عن أحلامها في المنامْ

بغدادُ والتأريخُ ذو أشطر
وشرٌّ شطريهِ عهُودُ الجِمام

يغدو بها المُدْركُ ما لا يُرامْ
مُيَسّرَ المأخذِ، سهلَ المَرامْ

يغفو على المجد وأحلامه
حتىَ إذا الغرورُ منّاهُ، نامْ

حتى إذا صحا رأى كوكباً
في كفّه أصبحَ برقاً يُشامْ

أمينُ خلِّ الدَّمَ ينزفْ دماً
ودعْ ضراماً ينبثقْ عن ضرامْ

وخلِّ سوحَ المجد ينهضْ بها
ركامُ موتٍ عن بقايا رُكامْ

ودعْ مُدى السفّاح مشحوذةً
ظمآنةً، يُبَلُّ منها الأُوامْ

فما استطابتْ أمةٌ نشوةً
للنصر، إلا من كؤوس الحِمامْ

وأنفُساً واثقةً خلّها
تزحمْ جدارَ الموت بالارتطامْ

فالسيف يُعلى من شذا حدِّه
يومَ التنادي كثرةُ الإنثلامْ

أمينُ، خلِّ الرعبَ ينشرْ بها
جوّاً مُضِدّاً وسماءاً تَغامْ

فالصبحُ أبهى ما يُرى حسنُهُ
إذا استطالت غَمَراتُ الظلامْ

أمينُ ألقى الغيُّ أستارَهُ
وانزاحَ عن وجهِ النفاقِ اللثامْ

ما أقذرَ الفسْق وإنْ ألّفَتْ
بينَ الزوانيِ روعةُ الإنسجامْ

إنَّ الشعوبَ اقتسمتْ عَنوةً
للكنديـينَ اقتسـامَ السهامْ

فسلَّمَتْ كُرهاً مقاليدَها
واستسلمتْ طوعاً الى العمِّ سامْ

واغتصبتْ أعناقَها غارقاً
في دم آلاف الضحايا الذمام

ليس لها من أمرَها ثالثٌ
إما الموالاة وإما الحُسام

تنزو إلى الحُكم بها شهوةٌ
كشهوةِ الحبلى اعتراها الوِحامْ

وتنبري الطغمةُ عن طغمة
مثل العنوز انحدرَتْ من أكامْ

قاستْ مقاييساً بأضدادها
وزوّرت كلَّ معاني الكلامْ

بالنورِ سَمَّتْ ظُلمةً والهدى
ضلالةً، ورجعةً بالأمام

وحقدَها الأعمى منارَ الهدى
وحُكمَها الأعرجَ لَبْنَ القَوام

وخطّت اللهَ على صدرها
وخوّضتْ بالدمِ حتى الحِزام

واغتلمَتْ بالدم لا ينتهي
منه ومنها طربٌ واغتلامْ

وخافت الفكرَ وأنوارَهُ
خيفةَ عدوى جَرَبٍ أو جُذامْ

تبنّت الوحدةَ إذ بعضُها
يذبح بعضا بسيوف الغرام

واتصلتْ زوراً وقد أقسمت
بالعروة الوثقى على الإنفصامْ

والإشتراكيةُ مدعومةً بالدين
خصمان، لديدا خصام

تُستنزَلُ الآيةُ معكوسةً
في مطمعٍ أو شهوةٍ أو غُرامْ

أمينُ هل جاءكَ ما حَلَّهُ
بالأزهر المظلوم ذاكَ الإمام

خليفةُ الله على عرشه
أضحىَ أجيراً لعَروش الطُّغام

عَمامةٌ لُفَّتْ على سَوْأة
لها بخزيٍ بأض فيها دِمام

وهامةٌ يأنفُ من حَمْلِها
ذو نخوةٍ أو أصيدٌ أو هُمام

بارك بغدادَ وسفّاحَها
بمأثمٍ يخجلُ منه الأثام

وهنّأ الفرعون في مصره
بينَ الغواني وكؤوس المَدام

أن العراقَ انتُهكتْ دورُهُ
عَشيّةً، ثم استتبَّ النظام

أفتى بأنَّ حُرُمات حرامْ
ديستْ حلال وسواها حرام

أفتى بأن الطفلَ بعد الرضاع
يُفطَمُ، والذبحُ له كالفِطام

من مُبْلِغُ الفاجرَ في ضَحْوَةٍ
على رؤوس الملأ المُستضام

يا عبدَ حربٍ وعدوَّ السلام
يا خِرّيَ من زكّى وصلى وصام

يا سُبّةَ الحجيج في عَمْرة
بين الصفا وزمزمٍ والمُقام

يا ابنَ الخَنا إنَّ دماءَ الكرامْ
نارٌ تلَظّى في عروق اللئام

وللضحايا من جراحاتها
أيُّ عيونٍ خُزْرٍ لن تنام

أمينُ صبراً فالخطوبُ الجسامٍ
تعْلَقُ حُباً بالهمُوم الضِخام

صبراً فأمُّ الشرِّ في بطنها
فردٌ، وأمُّ الخير فيها تُؤام

للحق في الأرض انتفاضاتُهُ
وللوعود في السماء التزام

صبراً فقد نصبر كي نلتقي
بالجزء من ثانيةٍ طولَ عام

نَفْخَ التحيات وصوبَ الغَمام
على الهُداةِ الشهداء الكرام

على نسور، هم وأجداثُهُم
عِطْرُ التحيات ومِسْكُ الختام.

اوراق من انقلاب شباط الاسود

اعدام عبد الكريم قاسم .. فتح طريق المقابر الجماعية

د. سعيد عبد الهادي

قاسم ١٩٦٢

ما من شك أن ما حصل في ثورة تموز مهد الطريق لاستخفاف العسكر بالسلطة وبرغم جميع محاسنها وما قدمته من انجازات وبرغ ما عرف عن زعيمها من اخلاص وحب لبلده فان المسؤولية الحالية تجعلنا نقف بتروي عند هذه الثورة وبحدة عند انقلاب شباط الأسود، هذا الملف فيه الكثير من الشهادات عن زعيمها المرحوم عبد الكريم قاسم وفيه آراء وقراءات قد نتفق معها وقد نختلف لكنها في العموم قراءات عراقية غايتها إعادة فتح ملفات تاريخنا المعاصر من أجل تجاوز اخطائه والوقوف بتمعن عند عبره . في هذه الحلقة الاخيرة مما اعددناه نقف عند شهادات ايضا تتحدث عن فترة حكم الزعيم وطبيعة علاقته بشعبه وفي الوقت نفسه تسلط الضوء على علاقة الشعب به . لايمكن لهذه الصفحات الثلاث التي اعدتها المؤتمر ان تكون كافية لتغطية هذه الاربع سنوات الخصبة في التاريخ العراقي المعاصر على المستويين السياسي والاجتماعي ولكنها تفتح الباب امام دراسات اخرى فما نحن بحاجة اليه الان هو اعادة النظر في تاريخنا العراقي المعاصر ويتضح مما تقدم ان عبد الكريم قاسم نشأ في بيئة شعبية عربية نقية، عاش فيها المثقفون الى جانب اصحاب الحرف اليدوية في وئام تام وتضامن، وكأنهم اسرة واحدة، ولذلك فلا غرابة ان نري العميد عبد الكريم الجدة (وهو ابن عبد الرحمن الجدة شيخ الحدادين) الذي صار امرا للانضباط العسكري في عهد قاسم، نراه يدافع بنفسه عن قاسم في مبنى وزارة الدفاع حتي النفس الاخير، عندما دهمته احدى الدبابات فقتلته. كما لا غرابة ان نري الضابط الشاب (كنعان الحداد) الذي اعدم مع قاسم في دار الاذاعة، إذ هو ابن العميد خليل الحداد، آمر شرطة القوات السيارة في اواخر الثلاثينات، وهو (أي خليل) ابن ابراهيم الحداد آنف الذكر، وخليل هذا هو خال عبد الكريم الجدة القتيل في وزارة الدفاع. في الحقيقة ان عبد الكريم قاسم احاط نفسه بضباط هم من صميم الشعب العراقي، من ذلك مثلا اللواء احمد صالح العبدي، رئيس الاركان، فهو من محلة (حمام المالح) المجاورة لمحلتنا، ومساعده العميد سعدون المدفعي، هو من محلة (الفضل) القريبة. اما العميد مجيد جليل فهو من ابناء قرية صغيرة في لواء ديالي تسمي (منصورية الجبل) وابوه مزارع بسيط اعرفه شخصيا. ويمكن تعميم هذه المقولة علي كثيرين ممن استعان بهم عبد الكريم، بمن فيهم ابن خالته (فاضل المهداوي) الذي عينه رئيسا لمحكمة الثورة، فهو ابن قصاب، وعمه قصاب ايضا. سأحاول هنا تبديد بعض الاتهامات التي الصقت به، ومنها معاداة القومية العربية، وهو اتهام عار من الصحة، اذ هو من ناحية العنصر عربي صميم، وكحاكم لم يتأخر عن دعم الثورة الجزائرية، وواصل دفع الاعانة النقدية التي قررتها لها الحكومة الملكية من قبل، وهيأ الفرص لزيارة قادة الثورة الي العراق، كما رحب بزيارة المناضلة (جميلة بوحيرد) التي استقبلت كملكة متوجة، ولقيت حفاوة بالغة، وفتحت بحضورها حملة لجمع التبرعات للجزائر، كما اطلق اسمها علي حي جديد ببغداد فسمي (مدينة جميلة). كما دعا قاسم ملك المغرب لزيارة العراق، فكانت زيارة تاريخية مشهودة توجها قاسم باهداء سلاح الجو المغربي الناشئ، سربا من طائرات فيوري (وكانت انذاك من أجود الطائرات الحربية). كما دعا لعقد مجلس الجامعة العربية (لأول مرة) في بغداد، منذ تأسيسها اعرابا عن دعمه للجامعة. كما اقام علاقات وطيدة مع الزعيم الفلسطيني الحاج أمين الحسيني (رحمه الله)، ولم يبخل بدعم نضاله، حتي انه اوعز بعقد المؤتمر الاسلامي (ببغداد) الذي يرأسه الحسيني (ومقره في باكستان)، وتحمل نفقات المؤتمر بما فيها استضافة الوفود وأجور سفرهم، وذلك من أجل استقطاب الدعم الاسلامي للقضية الفلسطينية (وكنت عضوا في الهيئة التحضرية لذلك المؤتمر). كما انه اعد العدة لتدريب المتطوعين الفلسطينيين عسكريا. وقد سعي بواسطة وزير خارجيته هاشم جواد (رحمه الله) لاصلاح الجامعة العربية وتعديل ميثاقها لازالة ما فيه من نقاط الضعف، لأجل تمكينها من خدمة الاهداف القومية. ولكن المؤسف ان الناشطين في الحقل القومي اندفعوا وراء الدعايات التي اججها المذيع المصري احمد سعيد واستهدفت عبد الكريم قاسم والطعن به بأسوأ ما في اللغة العربية من أوصاف. ويؤاخذ البعض قاسم على واقعة القتل التي شهدتها بغداد فجر ١٩٥٨/٧/١٤ وما تبعها، وهو يتنصل من مسؤوليتها اذ كانت عملية دخول بغداد بقيادة عبد السلام عارف. وهناك من يؤاخذه علي اعدامه بعض المسؤولين في العهد الملكي وبعض المشاركين في حركة الشواف في الموصل التي وقعت بتحريض الجمهورية العربية المتحدة. في الحقيقة ان قاسم ما كان عازما علي اعدام مسؤولي العهد الملكي، بدليل انه اطلق سراح عدد كبير منهم ممن اعتقل عقب تسلمه الحكم، اذ لم يقتنع بارتكابهم ما يستحقون عليه الاعدام، بل وحتي الحبس، ولكن حركة الشواف كان يراها تمردا عسكريا لا يجوز التهاون حياله مع القائمين به، خشية ان يتمادي العسكريون في الاقدام على حركات مماثلة، اذا هو تساهل تجاه المسؤولين عن ذلك التمرد. وكان يخشى في الوقت نفسه ان هو الغي احكام الاعدام الصادرة بحق الملكيين ان يتهم بممالأة من يسمون (رجعيين)، وبالتشدد تجاه (القوميين) العروبيين، وهو الوصف الذي يطلق علي اصحاب حركة الشواف، وهي مخاوف اثارها في ذهنه الشيوعيون الذين كانوا يحقدون علي رجال العهد الملكي، ويريدون الانتقام لزعيمهم (فهد) ورفاقه الذين اعدمهم ذلك العهد. اما الدليل على كره قاسم لعقوبة الاعدام هو ما فعله تجاه عبد السلام عارف الذي حكم عليه بالاعدام بتهمة التآمر على حياة عبد الكريم والقضاء على الكيان العراقي، فانه انتهز مناسبة احد الاعياد، فذهب بنفسه الي السجن واصطحب عبد السلام معه الي بيته معززا مكرما، ومعه مجموع رواتبه المتراكمة منذ اعتقاله حتي اطلاق سراحه. ودليل آخر نستخلصه من حادث اطلاق النار عليه واصابته بحوالي ٤٠ طلقة كانت كافية لقتله، لولا الجهود الاستثنائية التي بذلها الاطباء لانقاذ حياته. وقد صدر حكم الاعدام علي المشاركين في تلك العملية، وكلهم من الشبان، وصودق علي الحكم، وحلقت رؤوس المحكومين تمهيدا للتنفيذ، ولكن هنا ايضا وقعت المفاجأة، وصدر قرار العفو عنهم. ولعل من المفيد ان نقارن بين هذه الحادثة، وبين ما حصل للمتهمين في حادث اطلاق النار علي عبد الناصر في المنشية التي لم يصب فيها عبد الناصر حتي بخدش بسيط، تم اعدام مطلق الرصاص مع مجموعة ممن اتهموا بالتخطيط لذلك الحادث، وبينهم شخصيات مهمة. ان عبد الكريم قاسم مهما قيل عنه من قبل خصومه، فلا يوجد احد منهم يمكنه ان ينكر عفة يده ولسانه. ان الرجل عاش طيلة مدة حكمه عيشة الجندي في ثكنته، اذ كان ينام حيث مكتب عمله في وزارة الدفاع ولا يذهب لتفقد بيته الا لماما، وهو بيت متواضع من بيوت اليهود الذين غادروا العراق، ووضع تحت ادارة مؤسسة الاملاك المجمدة، وكان ايجاره الشهري ١٥ دينارا وقد كان مجاورا لبيت صديق لي (وهو ايضا من تلك الاملاك)، ولكن صاحبي فصل من وظيفته عقب حركة ١٤ تموز (يوليو) ١٩٥٨. والطريف ان قاسم كان قبل الحركة يلاطف اطفاله الذين كانوا يعتلون الجدار الفاصل بين الدارين، غير انه افتقدهم عندما كان يذهب الي بيته، حيث منعهم اهلهم من ذلك. واستطاع في احدي المرات ان يلمح احدهم، فسأله عن احواله، فبكي الطفل، وقال ان والده قد فصل من وظيفته فأمر بدراسة ملفه في الحال، واعادته الي وظيفته، اذ كان فصله ظلما وعدوانا. في الحقيقة ان قاسم كان بعيدا جدا عن المنافع المادية حيث انه اوكل الي العميد عبد الكريم الجدة الآنف الذكر ليقبض راتبه (وهو راتبه العسكري، اذ رفض ان يمنح راتب رئيس الوزراء) وتوزيعه علي الفقراء الذين كانوا يمر بهم في جولاته التفتيشية. ويكفيه عنه انه يوم قتله لم يكن في جيبه سوي ربع دينار! اما بالنسبة لعفة لسانه فيكفي القول بأنه تعرض من الاجهزة الاعلامية لبعض الاقطار العربية الي شتائم يأبي الحياء التلفظ بها، بل ناله من بعض الزعماء العرب الكثير من الطعون والاتهامات الباطلة، مما زخرت به وسائل الاعلام، اما هو فلم يسمح للسانه ان يذكر بالسوء احدا ممن اساء له علي الاطلاق. لقد سقت فيما سبق امثلة علي عفوه عن خصومه ومنفذي الخطط لقتله، كما اشرت

الي التزامه بالقضايا العربية كقضية الجزائر وقضية فلسطين. وازيد علي ذلك اهتمامه بحركة تحرير عمان التي قادها امام الاباضية ضد الوجود البريطاني، فدعمه وعرض عليه المساعدة لاصلاح ذات البين بينه وبين سلطان عمان. كذلك سبق واشرت الي المؤتمرات التي عقدت في بغداد كالمؤتمر الاسلامي ومجلس الجامعة العربية، واضيف علي ذلك، عقده لمهرجان تأسيس مدينة بغداد قبل ١٢٠٠ عام، والفية الكندي (الفيلسوف العربي) التي اقيمت سنة ١٩٦٢ وقد حضر الاحتفالات كبار العلماء والمؤرخين من الشرق والغرب علي السواء.

ذكريات الجواهري عنه

على الرغم من ان عبدالكريم قاسم كان يكن للجواهري تقديراً عالياً، ويعتبر بيته، البيت الذي نضجت فيه ثورة تموز، فقد أرادت له الأقدار ان يكون خصمه الأوحد. وسبب ذلك علي ما يرويه الجواهري ان الحزب الشيوعي كان له بعض الأنصار من الشباب في ناحية الميمونة من لواء العمارة، لكنّ هؤلاء لم يشاؤوا أن ينزلوا الي الشارع بأنفسهم، فأنزلوا النساء بغية احراج الشرطة، لأنها كما هو المفترض والمألوف ان لا تتجاوز الحدود مع النساء كما تتجاوزها مع الرجال. ومع هذا فلم تنجح جماعة الحزب الشيوعي هناك في ذلك، لأن الشرطة تجاوزت تلك الحدود، ولأنها اعتبرتهنّ بديلاً عن الرجال المختفين وراءهن، فقست عليهنّ ونكلت ما استطاعت واغتصبت اكثر من واحدة... في تلك الأثناء، وبرغم هذه الفترة المدللة والمحسودة فيما بيني وبين عبدالكريم قاسم، كانت جريدة الرأي العام (التي يصدرها الجواهري) تنضم الي صفوف المعارضة حتي لو أدي ذلك الي المساس به وبسياسته بمقالات متتابعات وبكلمات وموارد عديدة، وكانت خاتمتها الأسيفة ماذا في الميمونة؟ .

كان من المقرر لوفد من اتحاد الأدباء برئاسة الجواهري نفسه ان يقابل الزعيم. وقبل ان ينهض الوفد بقليل، لم يدر احد كيف انساق الحديث الي مقالة الجواهري ماذا في الميمونة؟ . كان عبدالكريم قد قرأ مقال الجواهري، والتقي بعض فتيات الميمونة المغتصبات. وأترك للجواهري رواية ما حدث: للحق والحقيقة لا أدري ولا أتذكر، وأنا أريد الائتمان فيما أقول، كيف تسلسل الحديث وبأي ذيل من ذيوله كانت كلمتي هذه البادرة والهادرة معاً، وإذ بي وأنا أقول ما لا يصح ان يقال وبالحرف نفسه: يا سيادة الزعيم، ثورة وبشرطة نوري السعيد؟... كلمة كبيرة حقاً - بل نابية ايضاً - لكنها اندفاعة الشاعر المكبوت... جملتي كانت علي صغر حجمها وعلي بداهة ارتجالها فظيعة جداً، واحتقن وجه الرجل وارتجفت شفتاه حتي ليكاد الزبد يلتقط منهما ليقول:

- وأنت من بقايا نوري السعيد... غلي دمي... واشتعل وجهي انفعالاً فقلتُ له من دون تفكير فيما اقول وبالحرف الواحد: أنا يا فلان أتحداك...

- تتحداني، قالها وهو شبه مرتجف. وشددت اكثر: اجل أتحداك يا سيادة الزعيم. وسرعان ما ردّ عليّ.

- لدي وثيقة ومستمسك... وكان المعروف عنه وبما يشبه المثل الدارج في العراق انه كان يهدد بكلمة عندي مستمسك لكل من يغضب عليه ويهدده. قلتُ له: ما زلت أتحداك... جيءٍ بها الآنٍ أرجوك. قال: طيب... ونهض مهرولاً قاصداً غرفة اخري كي يجلب مستمسكه المزعوم . الليلة التي بكى فيها الزعيم !! فيما كتب الدكتور عزيز الدفاعي عن صورة آخر لمدن بغداد: تل محمد أو الألف دار التي ينقصها دار وحيدة لتحاكي ألف ليلة وليلة حين يتربص عنق الموت بشهرزاد التي لا تكف عن سرد الحكايات الساحرة حتى مطلع فجر بغداد ، تجسد في سيرتها تاريخ العراق المعاصر بكل إرهاصاته وطموحاته ومآسيه . فهذه الدور المتشابهة التي تنام على كتف مجرى مائي آسن يسمى شطيط وتتمدد باسترخاء على طول معسكر الرشيد أمر الزعيم عبد الكريم قاسم ببنائها لعوائل مراتب الجيش العراقي الذين هاجروا من جنوب العراق وشماله ، وجسدت حلما لمرحلة جديدة في عيون الفقراء والفئات المسحوقة التي عاشت في هذه الأحياء الشعبية التي أحاطت ببغداد مثل الاسوارة وارتبطت أسماؤها بالزعيم مع انبثاق ثورة المحرومين عام ١٩٥٨ هبوا من منازلهم عندما حاول الشوفينيون اغتيال زعيمهم الحلم ولم يكونوا جزءا من أي حزب أو أيديولوجية سوى ولائهم لنصير الفلاحين والعمال والكادحين . وافطروا في ١٤ رمضان ١٩٦٣ عندما اعدم الطائفيون (ابن الشيعية) الذي أوصى أن يصلي على جثمانه السيد محسن الحكيم ، فوضعوا في جثته سلسلة من حديد ربطوها بحجر والقوا بها في دجلة الخير لكي لا يصبح قبر الشهيد مقصدا لأهالي الثورة والشعلة والحرية من الشروكية والفقراء والشيوعيون المطاردين . ومثل كل مدن الفقراء عاشت تل محمد في بغداد التي لم تكن (جديدة) أبدا بعد الردة إلا بأسماء الجنرالات الذين حكموا الوطن قادمين من أطراف الصحراء القاسية كقلوبهم ، مآسي الحروب والقمع والدكتاتوريات وانتكاسات الحركة الوطنية . فلا يكاد يخلو دار في هذه الألف إلا وقد قدم شهيدا في حروب (القائد التاريخي!!) أو معتقلات (الأمن العامة) و(الشعبة الخامسة) ومقابر (الرضوانية) ، وكانت نبعا حقيقيا للحركة الوطنية بكل أطيافها السياسية والدينية وسندا للمرجعية في مواجهاتها المحتدمة ضد النظام المقبور . تغيرت ملامح هذه الأحياء الشعبية على مدى خمسة عقود ، لكن نبض الجميع كان قريبا من شغاف العراق وجروحه النازفة وانتفاضاته المنتكسة وكانت دائما صرخة الحق لذلك استهدفها الإرهابيون منذ سقوط صنم الدكتاتورية البغيضة . كان أبناؤها من أوائل من وضع الحناء والورد وأوقد الشموع مع دموع الأمل والألم عند نصب الزعيم الذي سيزيح ذكريات الغادرين لتعلو هامته المديدة كنخيل العراق الباسق وسط شارع الرشيد حيث جرح . وكان المئات من كبار السن الذين صافحوه وهو يتفقدهم في دورهم قد عقدوا العزم على التوجه فجر اليوم التالي لإحياء ذكرى قائدهم الذي لم يصدق الكثيرون حتى اليوم موته وأصروا بأنه لا زال بكل من ملامحه البهية وسط قمر بغداد المتلألئ في سماواتها الواسعة والحزينة أحد التجار معه هذه الحكاية رواها الدكتور زكي ظاهر الامارة هي حكاية كانت تختفي وراء طبع صور الزعيم على الاطباق وابارق الشاي الفخاريه. فقد كان الناس يشاهدون تلك الصوره ويستأنسون بها كأنس الابن برؤية والده ولكن دون معرفة الغالبية العظمى للسر الكامن ورائها. كان أحد التجار الذي يملك صناعة الفخار، وهو واحد من تجار الشورجة في بغداد، وكان يسكن في نفس المنطقة التي كان يسكن فيها الزعيم، ولكنه لسبب او لآخر كان لا يرتاح لرؤية الرئيس، ربما بدافع حسد العيشة كونه تاجراً. وذات يوم وهو يقود عربته [السياره] وإذا به يصل الى طريق صحراوي بعيد عن المدينة وكانت الامطار غزيرة مما سبب في غرس العربة في الوحل عندها توقفت عن السير فنزل محاولاً دفعها عله يستطيع. بينما هو كذلك واذا به يشاهد اربعة اشخاص مقبلين عليه تاركين عربتهم التي غرست هي الاخرى بمسافة تبعد بحدود النصف كيلومتر عنه. عندما اقتربوا منه، واذا الزعيم هو من كان على رأسهم، عندها قال له التاجر لك الشكر سيدي يجب عليّ انا ان اساعدك في اخراج عربتك فانت لاتستطيع ان تتأخر عن اعمالك فوقتك ثمين، ولكن الزعيم اجابه [ابني آنه كل الشعب يسحب سيارتي بس انت اذا تركناك احنا وغيرنه، منو يساعدك؟] وعندها نادى الزعيم مستلهماً همم الذين معه وقال للتاجر [اصعد بالسياره] واخذ الزعيم يدفع العربه مع الجميع بعد ان رفع بنطلونه الى الركبتين وهكذا انتهت ورطة التاجر وانهت معها كل ايام الكره الذي كان يحمله للرئيس، وبدأ طبع صور الزعيم على تلك الخزفيات في الشورجه.

سجناء 8 شباط

علاء حسن

سجناء ٨ شباط شريحة واسعة من العراقيين، تجاهلهم أعضاء مجلس النواب أثناء القراءة الأولى لمشروع تعديل قانون يهدف لإنصاف كل السجناء السياسيين الذين تعرضوا للاعتقال إبان النظام السابق،ولهؤلاء كل الحق في الإنصاف عبر إقرار تشريع يأخذ بالاعتبار حجم تضحياتهم ومواقفهم في مقارعة الديكتاتورية، وفي العراق هناك الملايين ممن حمل هذه الصفة، والأمر لم يقتصر على حزب معين او تنظيم سياسي محدد، بل طال كل القوى الوطنية العاملة في الساحة العراقية.

أثناء القراءة الأولى للقانون لم تتطرق فقرة واحدة منه الى سجناء انقلاب ٨ شباط عام ١٩٦٣، وأحيل مشروع القانون للتعديل لشمول سجناء معسكر رفحاء السعودي، تمهيدا لطرحه للقراءة الثانية ثم إقراره، وواضح ان القوى السياسية الممثلة في مجلس النواب تناست الفصول المأساوية التي خلفها انقلاب شباط، وما تركته من تداعيات مازالت حاضرة في الساحة العراقية، فسجناء ٨ شباط معظمهم من المثقفين والمفكرين والأدباء والفنانين، وأعدادهم كبيرة جدا، وبعضهم غادر البلاد منذ سنوات، وفضل المكوث في المنافي ينتظر من النظام الجديد إنصافه كبقية السياسيين الذين قارعوا الديكتاتورية.

قبل أيام نشرت صحيفة محلية مقالات لكتاب من سجناء ٨ شباط انتقدوا فيها مواقف الكتل النيابية لتجاهلهم، ودعوا ائتلاف الكتل الكردستانية بكل قواه الى أن يتخذ الموقف المناسب لإنصاف سجناء ٨ شباط، لاعتقادهم بان الأحزاب والقوى الكردية على معرفة كاملة بما حصل من أحداث في الساحة العراقية بعد ذلك الانقلاب، وان إقليم كردستان استقبل آلاف الشخصيات التي استطاعت التخلص من السلطة وقتذاك.

بحسب رأي القانونيين فان أي تشريع يجب أن تتوفر فيه شروط شمول اكبر شريحة للاستفادة منه، والقانون المطروح للتعديل حاليا تجاهل تنظيما سياسيا لم يجد من يدافع عن حقوقه، لأنه فقد تمثيله في البرلمان، فأقدم الأحزاب العراقية والعاملة في الساحة السياسية في العراق منذ مطلع الثلاثينات من القرن الماضي، و المعروف بتراثه النضالي وحجم تضحياته، لم يتطرق احد لإنصاف سجنائه بعد ٨ شباط وحتى سقوط نظام صدام.

مما لاشك فيه أن عضو البرلمان يفترض به أن يكون على معرفة واسعة بالتاريخ السياسي الحديث، لأنه مشرع ومراقب، وحينما يطلع على أي قانون لابد ان يضع في اعتباره ذلك التاريخ بكل تفاصيله، لينصف المظلومين ويرفع الحيف عنهم، ولاسيما ان الأحداث السياسية في العراق، لا يمكن تجاهلها، ومنها انقلاب شباط الذي يراه البعض بداية مرحلة الانحطاط في الحياة السياسية والقضاء نهائيا على تطلعات إقامة نظام ديمقراطي.

ليس مهما ان يتذكر معظم أعضاء مجلس النواب انقلاب شباط لإنصاف السجناء، ولكنهم وبلا أدنى شك سمعوا "بنكرة السلمان" وكم كانت تضم من سجناء، ومن المعيب جدا أن ينصف قانون سجناء بعض الأحزاب، ويتجاهل من أمضى سنوات شبابه في "نكرة السلمان".

احمد صالح العبدي

مصطفى علي

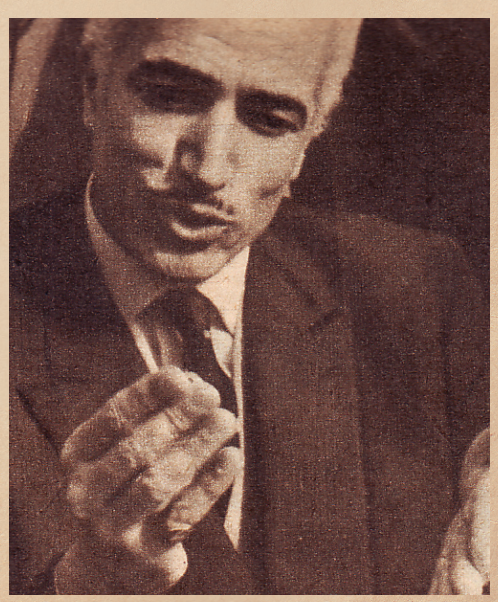
احمد محمد يحيى

اسماعيل عارف

انقلاب 8 شباط الأسود.. تاريخ لا ينسى

في استذكار للمشهد الذي حصل في الثامن و التاسع من شباط عام ١٩٦٣ وما تبعه من نتائج مأساوية على شعبنا وبلدنا يفرض علينا ان نناقشه من خلال صورتين متناقضتين افرزهما هذا المشهد التقطتا بوميض الرصاص الذي ثقب جسد الشهيد الزعيم عبد الكريم قاسم لتفتح له نافذة على الخلود.

في الصورة الاولى يذهب الزعيم بنفسه إلى اعداء الشعب ..انيقا..ماشيا بقامته الرشيقة وبملابس رسمية (مكوية) وذقن حليق ،تحيط به مهابة الرجال الشجعان وتتبعه كوكبة من رفاقه الابطال الذين أوفوا معه بالعهد حتى لحظة الفصل ،حاملا معه نيات حقن الدماء حرصاً على شعبه الذي احبه وافنى عمره من أجله و في خطاب له في ١٩٥٩/٥/١٤ (انني سوف أفنى في سبيل خدمة الشعب ، وبعد مماتي سوف تبقى روحي نصيرا له...).

الصورة الثانية فيها ثلة من الاراذل... شقاوات المقاهي ، الذين انجبتهم بؤر مشبوهة لتلقي بهم في حارات السقوط السياسي والاخلاقي..كانوا يتربصون الزهو القاسمي بفصيل رجاله الابطال ،ليجهزوا عليهم ومن خلالهم على قيم الرجولة والوطنية وحب الشعب و الوفاء له.نحن نعرف ما حصل في المشهد ونتذكره بمرارة لاتفارق نفوسنا ...فصورتاه اللتان التقطتهما الذاكرة ،نقيضان لا يتعايشان في دواخلنا حتى تنتصر صورة الخير على الشر ، وتترسخ المبادئ التي اسس لها الزعيم تأسيسا عمليا.

في الصورة الاولى يصعد الزعيم بروحه نحو العلا متساميا ومحلقاً في جنة الصالحين ...اسكناه في القمر..ورسمنا صورته في العيون . وفي الصورة الثانية رأينا من اغتالوه يتساقطون إلى مرحلة أوطأ من البشر ..نرى لهم أنياباً ومخالب مغموسة بالدم ،تساقطوا كالصراصير في قاع النجاسة.

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة
المدى للإعلام والثقافة والفنون
رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم
نائب رئيس التحرير: عدنان حسين
مدير التحرير: علي حسين
هيئة التحرير: باسم عبد الحميد حمودي . رفعت عبد الرزاق
الاخراج الفني: نصير سليم التصحيح اللغوي: مروان عادل
طبعت بمطابع مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون